

ألكساندر دوما

كسّارة البندق

رواية

ترجمها عن الفرنسية
محمد بنعبود

مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ

ألكساندر دوما

كسّارة البندق

رواية

ترجمها عن الفرنسية

محمد بنعبود

مراجعة

كاظم جهاد

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م

PQ2224.A7 .B45 2013
Dumas, Alexandre, 1802-1870
[Histoire d'un casse-noisette]
كسّارة البندق: رواية / ألكساندر دوما ؛ ترجمة محمد بنعبود ؛ مراجعة كاظم جهاد.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2013.
243 ص. ؛ 11×18 سم.
مختارات مشروع «كلمة» من أدب الناشئة الفرنسيّ.
ترجمة كتاب : Histoire d'un casse-noisette
تدمك: 978-9948-17-144-7

أ- بنعبود، محمد. ب- جهاد، كاظم.

هذه ترجمة لرواية الكاتب الفرنسيّ ألكساندر دوما
كسّارة البندق
Alexandre Dumas, *Histoire d'un casse-noisette*
رسم الغلاف والرّسوم الدّاخلية للرسّام الفرنسيّ برتال
Illustrations par Bertall (1820-1882)



www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+



ص.ب: 440050، الهدهد للنشر والتوزيع شارع دمشق - القصيص دبي - الإمارات العربية المتحدة. هاتف: 042206117



المحتوى

هذه السّلسلة

يشكّل أدب النّاشئة أحد أهمّ أجناس الأدب العالميّ، تتبارى أكبر دور النّشر الغربيّة لاحتضان أفضل نماذجه، القديم منها أو الجديد. مبدئيّاً، يتوجّه هذا الأدب للنّاشئة ممّن تتراوح أعمارهم بين الثّامنة والثّامنة عشرة، فهو يتمّم أدب الأطفال ويمهّد لأدب الرّاشدين أو الكبار. ومع ذلك فما فتئت نصوصٌ عديدة منه تجتذب قرّاءً من مختلف الأعمار، لما يجدون فيها من فتوّةٍ للسّرد وعذوبةٍ للّغة وانتشارٍ باذخٍ للخيال.

رافقَ هذا الأدب، في صيَغه الشّفويّة، فجرَ جميع الثّقافات. واعتباراً من القرن السّابع عشر حوّله لفيفٌ من الكتّاب الفرنسيّين إلى جنسٍ أدبيّ مكتوب قائم بذاته وله أساليبه ومناخاته وقواعده. ولئن كان أغلب روّاده الكبار، وبخاصّةٍ شارل بيرّو وماري-كاترين دَنوا، قد أوقفوا عليه جلّ نشاطهم الإبداعيّ، مكتفين بالكتابة للنّاشئة، فإنّ العديد من كبار كتّاب الأجيال والقرون اللاّحقة قد خضعوا لجاذبيّة هذا الجنس، فخصّوه بأثَرٍ أدبيّ أو أكثر أضافوه إلى إبداعاتهم المنضوية تحت لواء أجناسٍ أخرى. بفضل صنيعهم هذا، لم

يعد أدب النّاشئة محبوساً في إطار الشّائق والعجيب أو في مناخات قصص السّاحرات والجنيّات، بل صار يخترق كلاًّ من التّاريخ والواقع المعيش وجغرافية العالَم وآفاق الفكر الرحبة ويضيئها من داخلها، مصوِّراً إيّاها بعين الأجيال الصّاعدة وحساسيّتها. هكذا مارس هذا الجنسَ الأدبيَّ أساطينُ في فنون السّرد من بينهم رائد الرّواية التاريخيّة ألكساندر دوما والكاتب الواقعيّ غي دو موباسان وآخرون عديدون.

إنّ الغاية التي وضعت الكونتيسة دو سيغور رواياتها للنّاشئة تحت شعارها، ألا وهي تثقيف النّاشئة وتوعيتهم بوسائل الأدب والتّعجيب القصصيّ، تظلّ حاضرة بدرجات متفاوتة من الإضمار في كلّ النّماذج الكبرى من هذا الجنس. من هنا، فإنّ هذه السّلسلة، المخصّصة لترجمة مجموعة من المؤلّفات العالميّة في هذا المضمار، والتي يساهم في نقلها إلى لغة الضادّ فريق من ألمع أدبائها ولغويّيها ومترجميها، إنّما تطمح لا إلى تزويد النّاشئة العرب بنماذج أساسيّة من هذا الجنس الأدبيّ فحسب، بل كذلك إلى إغناء الأدب العربيّ نفسه بإجراءات سرديّة وشعريّة قد يكون كتّاب العربيّة في شتّى ممارساتهم ومَشاربهم بحاجة إليها.

وللباعث نفسه، يتمثّل أحد رهانات هذه السّلسلة، من

حيث صياغة النّصوص، في تحاشي التبسيط المفرط والإفقار العامد للّغة، اللّذين غالباً ما يُفرَضان على هذا النّمط من الحكايات، بتعلّة توجّهها للناشئة. بلا تقعيرٍ للكلام، ولا تعقيدٍ لا جدوى منه، سعى محرّر هذه السّلسلة ومترجموها إلى إثراء خيال الناشئة لا بالصّوَر والتّجارب فحسب، بل بالأداءات اللغويّة والإجراءات التعبيريّة أيضاً. ولقد بدا لنا خيارٌ كهذا أميناً لطبيعة النّصوص وكتابتها من جهة، وللمطلب الأساسيّ المتمثّل في إرهاف التلقّي الأدبيّ للناشئة من جهة أخرى. وإذا ما التبسَ على هذا القارئ أو ذاك معنى مفردةٍ ما أو صيغةٍ ما، فلا أسهلَ من أن يستعين بالمَعاجم أو يسأل الكبار حولَه إضاءتها له. هكذا تنشأ تقاليد في القراءة وتتعزّز طرائقُ تشاوُرٍ وحوار.

المحرّر

كاظم جهاد

هذا الكتاب

تتلقّى الصّغيرة ماري في عشيّة عيد الميلاد هديّة هي كسّارة بندق على شكلِ شابّ. تُولَع ماري بشابّ كسّارة البندق وتساعده ذاتَ ليلةٍ في التّصدّي لهجوم كاسح تقوم به جمهرة من الفئران يقودها ملكُها الفأرُ ذو الرّؤوس السّبعة. لا يصدّقها والداها عندما تحكي لهما في صباح اليوم التالي ما حدثَ لكسّارة البندق والفئران. بيد أنّ عرّابها دروسلْماير يُفهِمها أنّ الشابّ الذي تراه في الآلة الصّغيرة الشّبيهة بدُمية ليس سوى ابن أخيه، ناتانييل. لقد مسختْه «السيّدة فأْرون»، أمُّ ملك الفئران، إلى كسّارة بندق، فأصبح لزاماً عليه، إنْ هو أراد استرجاعَ شكله الآدميّ، أن يقود معركة ضدّ ملك الفئران ذي الرّؤوس السّبعة، وأنْ تحبّه، إلى ذلك، امرأة جميلة. فنذرت الصّغيرة ماري نفسَها لإنقاذ شابّ كسّارة البندق، وأفلحت في نهاية المطاف في أن تعيد له، بقوّة الحبّ وحدَه، شكلَه الآدميّ. فيتزوّجان، بعدما يكون كسّارة البندق قد اصطحبها في رحلة آسرة عبرَ مملكة الدُّمى، يجتازان فيها غاباتٍ بديعة التّكوين ويقابلان أقواماً عجيبين.

هذه هي الحبكة التي ابتكرها الكاتب الألمانيّ إرنْست تيودور

آماديوس هوفمان (1822-1776) Ernst Theodor Amadeus Hoffmann وأنشأ على أساسها حكاية عجائبيّة في خمسين صفحة ونيّف، منحَها عنوان **كسّارة البندق وملك الفئران** *Nußknacker und Mausekönig*. تُرجمَت حكاية هوفمان إلى الفرنسيّة على يد إيميل دو لا بيدوليير Emile de la Bédollière في 1838، وطبقت شهرتها الآفاق بعدما وضع تشايكوفسكي Tchaïkovski ألحانَ باليه مستوحاة منها عُرضت لأوّل مرّة في سان-بطرسبورغ في 1892، عنوانها **كسّارة البندق**. لكنّ ممّا ساعد على اشتهارها أيضاً استلهام الكاتب الفرنسيّ ألكساندر دوما لأحداثها وتحويله لها في 1844 إلى رواية عامرة بالأوصاف السّاحرة والتناميات السرديّة الشّائقة، منحَها عنوان **حكاية كسّارة بندق** *Histoire d'un casse-noisette*. رواية تُصوّر ما يقدر عليه الحبّ من تحويلٍ لمصائر الأشخاص ومن تأثيرٍ على مجرى الأحداث، وتُجسّد ما يستطيع كاتب متعدّد المواهب أن يضفيه بخياله البارع وتوليداته القصصيّة والشعريّة على نصّ كاتبٍ آخر. هذه الرّواية يجد القارئ بين يديه هنا ترجمة نصّها الكامل(*).

المحرّر

(*) جميع الحواشي التي ترافق النصّ وضعَها المحرّر والمترجم. وقد أُحيلت كلّها إلى نهاية الكتاب تفادياً لتزاحُمها والرّسوم المرافقة له.


حكايـــة
كسّارة البندق

مقدّمة

تشرح كيف وجد الكاتب نفسَه مرغماً على أن يحكي حكاية كسّارة بندقِ نومبيرغ

أقام صديقي الكونت م... أمسيةَ أطفالٍ كبيرة في بيته، فساهمتُ، من جانبي، في تضخيم عدد الحاضرين في ذلك اللّقاء الضاجّ والبهيج، باصطحاب ابنتي إليه.

لكنّني ألفيتُ نفسي مرغماً، بعد نصف ساعة من بداية الحفل، على الانسلال من القاعة. حضرتُ، بالفعل، بحسّ أبويّ، بضع فقرات من الحفل لعبوا فيها لعبة الغمّيضة وألعاباً أخرى، لكنّني بدأت أشعر برأسي يؤلمني من كثرة الضّوضاء التي كان يحدثها حوالى عشرين من العفاريت الفاتنين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثّامنة والعاشرة. فهم كانوا يرفعون أصواتهم بالصّياح، وكأنّهم يتنافسون في من يكون صوته أكثر ارتفاعاً. لذلك انسللتُ من قاعة الحفل، وشرعتُ أبحث عن غرفةِ استقبالٍ صغيرة سبق لي أن رأيتها، بعيداً عن مكان

الاحتفال، حيث لا تصل أصوات الأطفال، وفي نيّتي أن أسترجع فيها حبل أفكاري الذي كان قد انقطع.

كان انسحابي من الإتقان بحيث لم يستطع الانتباه إليه لا المدعوّون الصّغار ولا الآباء. لم يكن الأمر صعباً بالنّسبة للأطفال لأنّهم كانوا منشغلين كلّية بلُعَبهم، لكنّ الأمر كان مختلفاً تماماً مع الكبار. غير أنّني انتبهت، عندما وصلت إلى غرفة الاستقبال الصّغيرة، إلى أنّها كانت قد حُوّلت إلى قاعة طعام مؤقّتة، وأنّ موائد نُصبت فيها ووضعت عليها حلويّات ومشروبات كثيرة ومتنوّعة. بيد أنّ هذه الاستعدادات المرتبطة بالأكل جعلتني أُقدّر أنّني سأظلّ هائناً في غرفة الاستقبال الصّغيرة هذه على الأقلّ، إلى أن يحين وقت وجبة العشاء. لذلك توجّهت إلى كرسيّ ضخم من طراز كرسيّ فولتير[1]، وهو كرسيّ منجّد واسع، ممّا كان سائداً في عصر لويس الخامس عشر، مسنده مكتنز، وذراعاه مستديرتان. كان شبيهاً بكراسيّ الكُسالى كما يقول الإيطاليّون؛ ذاك الشّعب المكوّن، فعلاً، من كسالى حقيقيّين. استقررتُ في الكرسي إذن وأنا أشعر بلذّة فائقة، سعيداً بكوني سأقضي فيه ساعةً في مواجهة أفكاري، وهو ما يعدّ أمراً ذا قيمة عالية في خضمّ هذا الإعصار الذي نجد أنفسنا، نحن الجمهورَ التّابعَ، مُساقين إليه باستمرار.

وبعد عشر دقائق من التفكّر، إمّا بسبب التّعب أو بسبب عدم اعتيادي على الجلوس في مثل هذه الأريكة، أو ربّما بسبب شعوري براحة نادرة، غططتُ في نوم عميق.

لم أعرف كم من الوقت فقدت خلاله كلّ إحساس بما كان يدور حولي، لكنّني وجدت نفسي، فجأة، أُوقَظ من نومي بفعل ضحكات عالية. فتحت عينيّ الزائغتين على سعتهما، فلم أرَ إلاّ سقفاً مزيَّناً ومزخرَفاً بلوحاتٍ للرسّام بُوشيه[2]، حافلةٍ بحمائمَ وربّاتٍ للعِشقِ، فحاولتُ الوقوف، لكنّ محاولتي كانت بدون نتيجة؛ كنتُ مقيّداً إلى أريكتي بنفس الطّريقة الصّارمة التي كان قد قُيّد بها غوليفر على شاطئ ليليبوت[3].

فهمتُ على الفور أنّني كنتُ في وضعيّة لا أحسد عليها؛ لقد أُلقِي عليّ القبض وأنا على أرض العدوّ، فأصبحت أسير حرب.

لذلك قدّرت أنّ خير ما يمكنني القيّام به هو أن أتحمّل مسؤوليتي بشجاعة وأن أحاول الحصول على حرّيتي بطريقة حبّية.

كان أوّل اقتراح قدّمتُه هو أن أصطحب كلّ المنتصرين غداً إلى محلّ فيليكس، وأن أضع كلّ ما فيه رهن إشارتهم. لكنّ

الوقت، للأسف، لم يكن مناسباً تماماً لمثل هذا الاقتراح، لأنّني كنت أتحدّث إلى مستمعين كانوا ينصتون إليّ وأفواهُهم مترعة بالحلويّات وأيديهم مليئة بالمعجّنات.

رُفض إذن اقتراحي بطريقة مُذلّة.

قدّمتُ بعد ذلك اقتراحَ أنْ أجمع، يومَ غدٍ، تلك المجموعة المبجّلة في حديقة يختارونها، ويتمّ إطلاق الألعاب الناريّة المتنوّعة، التي يثبّتونها ويطلقونها هم أنفسهم.

لكنّ عرضي هذا لم يحظَ إلاّ بقبولٍ لا بأس به لدى الأطفال الذّكور، أما الفتيات فقد رفضنه بشكل قاطع، وصرّحن بأنّهن يخشين جدّاً الألعاب الناريّة، وأنّ أعصابهنّ لا يمكنها أن تتحمّل أصوات المفرقعات، كما أن روائحها لا تناسبهنّ.

كنت على وشك تقديم اقتراح ثالث، عندما سمعت صوتاً صغيراً موقَّعاً يسرِّب، خفيضاً، إلى آذان باقي الأطفال هذه الكلمات التي جعلتني أرتعش:

- قولوا لأبي، الذي يكتب قصصاً، أن يحكي لنا حكاية جميلة.

أردت أن أحتجّ على هذا الاقتراح، لكنّ أصوات الأطفال عَلَت على صوتي:

- هيه! نعم، حكاية، حكاية جميلة. إنّنا نريد حكاية.

- لكنّكم، يا أطفالي، صِحتُ بأعلى صوتي، تطلبون منّي أصعب شيء في الوجود! حكاية! ما أصعبها! أطلبوا منّي ملحمة **الإلياذة** لهوميروس، أطلبوا منّي ملحمة **الإنياذة** لفرجيل، أطلبوا منّي ملحمة التّاسو عن القدس، بإمكاني أن أقدّم لكم ما تطلبون، لكن أن أحكي حكاية! يا للهول! إنّ كاتب حكايا الجنيّات شارل بيرّو لهوَ مؤلِّف مختلف تماماً عمّن ذكرتُ، كما أنّ **حكاية أُصَيبع** التي كتبها للصّغار تُعتبَر عملاً إبداعيّاً أكثر أصالة من مؤلّفات أصحاب المَلاحم وكبار الشّعراء[4].

- نحن لا نريد أبداً شعراً ملحميّاً، صاح الأطفال جميعهم بصوت واحد، نحن نريد حكاية.

- لكنْ يا أطفالي الأعزاء، إنْ...

- لا «إنْ» ولا أيّ شيء آخر. نحن نريد حكاية!

- لكنْ يا أصدقائي الصّغار...

- لا «لكنْ» ولا هم يحزنون، نحن نريد حكاية! نريد حكاية! قال الأطفال بصوت واحد من جديد، وبنبر لا يقبل أيّ تعقيب.

- وإذن، قلتُ مع تنهيدة، فلتكن حكاية!

- آه! هذا شيء رائع! قال مضطهديّ.

- لكن عليّ أن أخبركم بأمر؛ الحكاية التي سأرويها لكم ليست حكايتي.

- ذلك لا يهمّنا في شيء، نحن نريد فقط أن تكون مسلّية.

وأعترف بأنّني قد شعرت ببعض الإهانة من أن مستمعيّ لم يبدوا إلحاحاً يذكر على ضرورة أن تكون الحكاية أصليّة.

- ولمن هي، تلك الحكاية، يا سيّدي؟ سأل صوت صغير يبدو منتمياً، لا شكّ، لطفلة أكثر فضولاً من الباقين.

- هي لهوفمان، يا آنسة. هل تعرفين هوفمان؟

- لا سيّدي، أنا لا أعرفه.

- وما هو عنوان حكايتك؟ سأل ابن صاحب المنزل، بصوت يستمدّ جرأته من إحساسه بأن من حقّه أن يَسأل ما دام ابن ربّ الدّار.

- «كسّارة بندق نومبيرغ»، أجبتُ بخضوع كامل. فهل يلائمك هذا العنوان، يا هنري العزيز؟

- أمممم! هذا العنوان لا يَعِدُ بشيء جميل ذي بال، لكن لا يهمّ، ليكن. أمّا إن أضجرتَنا، فإنّنا سنقاطعك وستكون مجبراً على أن تحكي لنا حكاية أخرى، وهكذا دواليك، إلى أن تحكي لنا حكاية تسلّينا. ها أنذا قد حذّرتك.

- لحظة، لحظة. أنا لا ألتزم بما قلتَه لتوّك. ولو كنتم

أشخاصاً كباراً، لفهمتم.

- مع ذلك، فتلك شروطنا، أمّا إن رفضت فستظل سجيناً إلى الأبد.

- هنري، يا صديقي، أنت طفل رائع، وقد رُبّيت كي تكون محبوباً، وسأكون مندهشاً للغاية إن لم تصبح ذات يوم رجل دولة ذائع الصّيت. أطلقوا سراحي، وسأقوم بكلّ ما تطلبونه منّي.

- كلمة شرف؟

- كلمة شرف.

أحسست على الفور بأنّ تلك الأعداد الكبيرة من الحبال التي تقيّدني شرعت ترتخي، إذْ شارك كلّ الأطفال في عملية تحريري، فاسترجعتُ بعد نصف دقيقة حرّيتي.

بيد أنّني، كي أفي بوعدي، رغم أنني لم أعِدْ سوى أطفال صغار، دعوت مستمعيّ إلى الجلوس بشكل مريح، حتّى يستطيعوا المرور بسلاسة من الاستماع إلى النّوم. وعندما أخذوا كلّهم أمكنتهم، بدأت الحكاية بهذه الطّريقة:



الفصل الأوّل

العزّاب دروسلْماير

كان يا ما كان، كان في مدينة نومبيرغ[5] رئيسٌ للمحكمةِ يقدّره النّاس تقديراً كبيراً. كانوا يسمّونه السيّد القاضي زيلبرهاوس، واسمُ شهرته هذا يعني «بيت المال».

كان للقاضي طفل وطفلة.

كان الطفل، الذي يبلغ من العمر تسعة أعوام، يسمّى فريتْس.

وكانت الفتاة، التي يبلغ عمرها سبع سنوات، تسمّى ماري.

كانا طفلين جميلين، لكنّهما كانا يختلفان اختلافاً شديداً في مزاجيْهما وفي وجهيْهما، إلى درجة أنّه كان بالإمكان القول إنّهما ليسا أخوين.

كان فريتْس طفلاً بديناً ممتلئاً ومتحذلقاً وماكراً، يركل



بقدمه لأقلّ أمر يعارضه، مقتنعاً بأنّ كلّ ما خُلق على وجه البسيطة، إنّما خلق ليسلّيه أو ليستجيب لنزواته. وقد ظلّ متمسّكاً بهذا الاعتقاد إلى أن خرج الطّبيب من عيادته، بعد أن نفد صبره من صراخ فريتْس وبكائه ورفسه على الأرض، فرفع سبّابة كفّه اليمنى إلى أن أصبحت أمام حاجبيه المعقوفين، ونطق بهاتين الكلمتين:

– السيّد فريتْس!...

في تلك اللّحظة راودت فريتْس رغبة قويّة في أن تبتلعه الأرض.

أمّا أمّه، فمن النّافل القول إنّها مهما كانت ترفع إصبعها، أو حتّى كفها، فإن فريتْس لم يكن يعيرها أيّ اهتمام.

وكانت أخته ماري، على العكس منه تماماً، طفلة هزيلة وشاحبة، شعرها طويل ومجعّد بشكل طبيعيّ، ينسكب على كتفيها الصّغيرتين البيضاوين، مثل حزمة من الذّهب السّائل واللامع والموضوع في مزهرية مرمريّة. كانت متواضعة ولطيفة وبشوشاً ورحيمة بكلّ من يعاني، وإنْ كان المتألّم هو دمية من دُماها، كما أنّها كانت تطيع السيّدة زوجة القاضي وتستجيب لأيّة إشارة منها، ولم تكن تكذّب أحداً، حتّى إذا تعلّق الأمر بمربّيتها الآنسة ترودشن. وقد نتج عن ذلك أنْ أصبحت ماري محبوبة من قبل الجميع.

والحال أن الرّابع والعشرين من كانون الأوّل/ ديسمبر من السّنة...17، كان قد حلّ. وأنتم تعلمون يا أصدقائي الصّغار بأن الرّابع والعشرين من كانون الأوّل/ ديسمبر، هو اليوم الذي يسبق عيد الميلاد، أي اليوم الذي ولد فيه الطّفل المسيح، في مِذْود، بين حمار وثور.

وأريد الآن أن أشرح لكم أمراً.

حتّى أكثركم جهلاً سمعوا بأنّ لكلّ بلد عاداته، أليس كذلك؟ كما أنّ العارفين من بينكم يعلمون بالتّأكيد أنّ نومبيرغ هي مدينة ألمانيّة مشهورة جدّاً بلُعَبها؛ بدُماها وبمهرّجيها؛ وهي اللّعَب التي تُبعث منها صناديق مملوءة عن آخرها إلى كلّ بلاد الدنيا. ينتج عمّا قلناه أنّ أطفال مدينة نومبيرغ، من المفروض أن يكونوا أسعد أطفال الدّنيا برمّتها، وإلا فإنّ هؤلاء الأطفال سيكونون مثل سكّان أوستونده، الذين يكتفون من المحّار بالنّظر إليه وهو يمرّ أمامهم.

وإذن، فإنّ ألمانيا التي هي بلد آخر مختلف عن فرنسا، لها عادات أخرى غير عادات فرنسا. إنّ اليوم الأوّل من العام، في فرنسا، هو يوم تقديم الهدايا، ممّا يجعل كثيراً من الناس يشتهون أن يبتدئ العام دائماً باليوم الثاني من كانون الثاني/ يناير. أمّا بالنّسبة لألمانيا، فإنّ يوم تقديم الهدايا هو يوم 24 كانون الأوّل/ ديسمبر، أي اليوم الذي يسبق عيد الميلاد. وفضلاً عن هذا، فإنّ الهدايا تُقدّم في الجانب الآخر من نهر الرّاين، أي بألمانيا، بطريقة مختلفة تماماً: يتمّ وضع شجرة كبيرة في غرفة الاستقبال، وسط مائدة، فتُعلّق إلى أغصانها الدُّمى التي يريدون تقديمها للأطفال، وما لا يَثْبُت من تلك الدّمى على الأغصان، يوضع على المائدة. بعد ذلك يقولون للأطفال

إنّ المسيح الصّغير هو الذي أرسل لهم حصّتهم من الهدايا التي تلقّاها هو بدوره من المجوس الثّلاثة...

أنا أعتقد أنّني لست بحاجة لأن أقول لكم إنّ طفلَي القاضي زيلبرهاوس كانا من بين أطفال نومبيرغ الأكثر حظوة، أي من بين الأطفال الذين يحصلون خلال عيد الميلاد



على دمى أكثر من غيرهم. فإضافة إلى أبيهما وأمهما اللّذين كانا يحبّانهما حبّاً كبيراً، كان لهما عرّاب يحبّهما أيضاً، وكانا يدعوانه العرّاب[6] دروسلماير.

وعليّ الآن أن أرسم لكم بورتريهاً موجزاً لهذه الشّخصية اللاّمعة والتي كانت تحتلّ في مدينة نومبيرغ مكانةً مرموقة تقارب مكانة القاضي زيلبرهاوس نفسه.

لم يكن العرّاب دروسلماير، المستشارُ الطبّي، يتمتّع بأيّ قدر من الجمال. كان رجلاً جافّاً، يصل طوله إلى خمسة أقدام وثماني بوصـات، فكان يبدو، دائماً، منحنياً، ممّا كان يجعله، رغم طول ساقيْه، يستطيع أن يجمع منديله من الأرض عندما



يسقط منه، دون أن ينحني تقريباً. وكان وجهه مجعّداً مثل تفّاحة كنَديّة ضربها بَرَد نيسان. كان يحمل على عينه اليمنى لَصْقةً سوداء عوضَ عين حقيقيّة، وكان أصلع تماماً، ممّا كان

يجعله يضع، لإخفاء هذه النّقيصة، لمّةً من الشعر المستعار، مُخضرّةً ومموّجة، كانت تعتبر قطعـة فريدة من إبداعه. كانت مصنوعة من زجاج مرصوص بأسلاك، ممّا كان يجعله يحمل تحت إبطه دائماً قبعته، حفاظاً عليها. عدا هذا، كانت عينه السّليمة حيّة ولامعة، فكانت تبدو وكأنها لا تؤدّي عملها هي وحسب، وإنما تؤدّي أيضاً عمل رفيقتها الغائبة، فكانت تجول بسرعة فائقة في الغرفـة التي يريد العرّاب دروسلماير أن يعرف كلّ تفاصيلها من نظرة واحدة، كما أنّها كانت تقف ثابتة على الأشخاص الذين يريد العرّاب أن يعرف أفكارهم العميقة.

كان العرّاب دروسلماير يشغل كما سبق أن قلنا، وظيفةَ مستشارٍ طبّي. لذلك، كان من المفروض أن يكون اهتمامه منصبّاً، كما هو الشّأن بالنّسبة لغالبية زملائه، على أن يقتل بإتقان، وحسب القواعد، الناسَ الأحياء. غير أنّه، وعلى العكس من ذلك تماماً، لم يكن يهتمّ إلاّ بأن يعيد الحياة إلى الأشياء الميّتة؛ أي أنّه كان، لفرط ما درس من أجساد النّاس والحيوانات، قد وصل إلى معرفة أسرار الآلة، إلى درجة أنّه كان قد بدأ يصنع رجالاً يمشون ويُلقون بالتّحيّة ويستعملون الأسلحة. كما أنّه كان يصنع نساءً يرقصن ويعزفن على البيانو



وعلى الكمنجة، وكلاباً تجري وتأتي بالطرائد وتنبح، فضلاً عن طيور تحلّق وتقفز وتزقزق، وأسماكاً تسبح وتأكل. وقد توصّل، في نهاية المطاف، حتّى إلى جعل المهرّجين وباقي الدُّمى تتلفّظ ببضع كلمات غير صعبة، من مثل «بابا» و«ماما» و«دادا». غير أنّ الأمر كان يتعلّق بأصوات رتيبة وصارخة وكئيبة، لأنّ المستمع كان يشعر بأنّ كلّ ذلك لم يكن سوى نتيجة مزجٍ آليّ، وأنّ المزج الآليّ ليس، في حقيقة الأمر، سوى محاكاة للرّوائع التي أبدعها ربُّنا.

غير أنّ العرّاب دروسلماير لم يكن ييأس أبداً، رغم محاولاته المتعدّدة التي لم تؤت أُكلها، وكان يقول بتصميم إنّه سيستطيع، ذات يوم، أن يصنع نساءً ورجالاً حقيقيين وكلاباً حقيقية وطيوراً حقيقية وأسماكاً حقيقية. ولستُ في حاجة لأن أقول لكم إنّ الطّفلين اللّذين كان هو قد اختير لهما عرّاباً، واللّذيْن وعدهما بأن يقدّم لهما نتائج محاولاته الأولى، كانا ينتظران تلك اللّحظة بفارغ الصّبر.

وعلينا، أيضاً، أن نعلم أنّ العرّاب دروسلماير، عندما بلغَ هذه الدّرجة من العلم بالميكانيكا، كان قد أصبح شخصاً ثميناً بالنّسبة لأصدقائه. كانوا يطلبون منه المجيء بمجرّد أن تصاب ساعةٌ باعتلالٍ في منزل القاضي زيلبرهاوس، فيكفّ عقرباها، رغم عناية السّاعاتيّ ومجهوداته، عن تدقيق الوقت، ويتوقّف صوتها وحركتها. كان العرّاب يُقبل مسرعاً، لأنّه كان فنّاناً ويحبّ فنّه بقوّة. كان يُقاد إلى حيث توجد المريضة، فيفتحها على الفور ويُخرج محرّكها ويضعه بين ركبتيه. عندئذ كان يَخرُج لسانُه من جانب من فمه وتشرع عينه الوحيدة في اللّمعان مثل جوهرة حمراء، ويضع شعره المستعار على الأرض، ويُخرج من جيبه جمهرةً من الأدوات التي لا أسماء لها لأنّه هو من صنعها لنفسه، وهو الوحيد الذي يعرف كيفية

استعمالها، فيختار من تلك الأدوات أشدّها تسنّناً ويدفع به إلى داخل السّاعة، ممّا كان يجعل ماري تشعر بألم كبير من تلك الطّريقة في الوخز، فلا تستطيع أن تصدّق أنّ السّاعة المسكينة لا تتألّم من تلك العمليّات، بل على العكس من ذلك، ستُبعَث حيّة بمجرّد أن تعاد إلى صندوقها أو توضعَ في عمودها أو على قاعدة، إذْ ستشرع الحياة تنتشر فيها وتبدأ تدقّ وتصوِّت على الفور، ممّا سيعيد الحياة أيضاً إلى البيت الذي يكون وكأنّه قد فقد روحه عندما فقد ساعته الثمينة.

وأكثر من ذلك، فإن العرّاب دروسلماير كان قد قبِل أن ينزل من عَلْيَاء عِلمه كي يصنع كلباً آليّاً؛ ذلك أن ماري الصّغيرة كانت تتألّم من رؤية كلب المطبخ يدير السّفود، فأشفقت على حاله. وقد استجاب دروسلماير لرجائها فصنع لها الكلب الآليّ، الذي شرع يدير السّفود دون عناء، ولا طمعٍ بالشواء، بينما شرعَ تورك، كلبُ المطبخ الذي مارس تلك المهمّة لمدّة ثلاث سنوات، يجلس في الشّمس، بعد أن هَزُلَ، ليُدفئ خطْمَه وقوائمه، دون أن يكون له أيّ شيء يشغله، وهو ينظر إلى من حلّ محلّه يقوم، بعد أن يُشحن، بمهمّته الآليّة، لمدّة ساعة كاملة، دون أن يكون في حاجة لأن يهتمّ به أيّ كان.

ثمّ إنّ الكلب تورك (ومعنى اسمه هو «التركيّ») كان، بعد القاضي وزوجته، وبعدَ ابنيهما فريتْس وماري، الكائن الذي يحبّ أكثر من غيره العرّاب دروسلماير، فكان يستقبله استقبالاً حافلاً كلّما رآه مقبلاً إلى المنزل، بل كان يعلن، أحياناً، بنباحه المبتهج وبحركات من ذيله، عن وصول المستشار الطّبيّ قبل حتّى أن يلمس هذا الأخير بكفّه مقبض الباب.

كان فريتْس وماري، إذن، مساء اليوم السّعيد الذي يسبق



عيد الميلاد ذاك، وفيها كان الغسق قد بدأ ينشر أرديته على الكون، يجلسان مقرفصيْن في زاوية من غرفة الطّعام، بعد أن لم يستطيعا، طيلة اليوم، أن يدخلا غرفة الاستقبال الكبيرة التي سيُقام فيها الحفل.

أمّا الآنسة ترودشن، مربّيتُهما، فكانت تطرّز وقد اقتربت من النافذة لتستفيد من آخر ضياء النهار. كان الطّفلان قد شعرا برعب غير واضح، لأنّهما لم يحصلا، حسب ما جرت به العادة في ذلك اليوم الرّسميّ، على ضوء، إلى درجة أنّهما شرعا يتحادثان بصوت خافت وكأنّهما يشعران ببعض الخوف.

- أخي، أنا متأكّدة، قالت ماري، من أنّ بابا وماما يهتمّان بشجرتنا الخاصّة بعيد الميلاد؛ ذلك أنني قد سمعت، منذ الصّباح، أصوات جرّ الأثاث في غرفة الاستقبال التي حُظر علينا وُلوجُها.

- أمّا أنا، قال فريتْس، فقد علمت، منذ حوالي عشر دقائق، ومن خلال نباح الكلب تورك، أنّ العرّاب دروسلماير قد دخل المنزل.

- آه يا إلهي! صاحت ماري وهي تضرب كفّاً بكفّ، ما الذي سيجلبه لنا هذا العرّاب الطّيب؟ أنا متأكّدة من أنّه سيأتينا بحديقة مغروسة بالأشجار، مع جدولٍ يجري على

نباتٍ تصطفّ الزّهور على حواشيه. وعلى صفحة هذا الجدول تقف بجعات فضّية تحمل في أعناقها حليّاً من ذهب، مع فتاة صغيرة تقدّم لها حلوى، فتقترب البجعات منها لتأكلها إلى أن تلمس وَزْرتها.

- عليك أن تعلمي، أوّلاً، أيّتها الآنسة ماري، أنّ البجعات لا تأكل الحلوى. كان فريتْس قد قال ما قاله بنبر متعالٍ خاصٍّ به، وهو النّبر الذي يعتبره أبواه إحدى نقائصه.

- كنت أعتقد ذلك، قالت ماري؛ لكن، وبما أنّك تكبرني بسنة ونصف، فمن المفروض أنّك تعرف ذلك أكثر منّي.

بدا فريتْس في ذروة الزهو والاختيال ممّا سمعه.

- ثمّ إنّني أعتقد أنّ بإمكاني أن أقول، واصل فريتْس، إنّ العرّاب دروسلماير، إن أتى بشيء، فإنّه سيأتي بلعبةِ قلعةٍ مع جنودٍ لحراستها ومَدافعَ للدّفاع عنها وأعداء ليهاجموها، ممّا سينتج عنه اندلاع معارك رائعة.

- أنا لا أحبّ المعارك، قالت ماري. وإن أتى العرّاب بلعبةِ قلعة، كما تقول، فستكون لك أنت، أمّا أنا فسأطالب فقط بالجرحى كي أقدّم لهم ما يلزم من إسعافات.

- مهما كان ما سيأتي به، قال فريتْس، فأنت تعلمين أنّه لن يكون لأيّ منّا. فمن المنتظر أن يُؤخذ منّا ما سيأتي به، بدعوى



أنّ هدايا العرّاب دروسلماير هي تحف حقيقة، وستوضع في أعلى مكان من الخزانة، لا يستطيع أن يصل إليه إلا بابا، وبعد أن يصعد على كرسيّ. وهذا يعني، واصل فريتْس، أنّني أحبّ اللُّعب التي يقدمها لنا بابا أو ماما، أكثر ممّا أحبّ ما يأتي به العرّاب دروسلماير، فهما، على الأقلّ، يتركاننا نلعب بها إلى أن نكسّرها إلى قطع صغيرة.

– وأنا أيضاً، لكن عليك أن تتجنّب قول ما قلته لتوّك أمام العرّاب.

– ولماذا؟

- لأنّه سيشعر بألم من ألاّ نكون نحبّ ما يأتي به من لُعَب كما نحبّ اللّعب التي يقدمها لنا بابا أو ماما. فهو عندما يقدّمها لنا يكون معتقداً أنّها تسعدنا كثيراً، وإذن فعلينا أن نتركه يعتقد أنّه ليس مخطئاً.

- آه! قال فريتْس.

- الآنسة ماري على حقّ يا سيّد فريتْس، قالت الآنسة ترودشن التي تظلّ عادةً صامتة، ولا تتحدّث إلا عند الضّرورة القصوى.

- هيّا، قالت ماري بحماس كي تمنع فريتْس من أن يعقّب بكلام جارح في حقّ المربّية المسكينة، هيّا، ولنحاول أن نخمّن ما الذي سيقدّمه لنا أبوانا. بالنّسبة إليّ أنا، فقد سبق لي أن أخبرت أمّي بأنّ دميتي الآنسة روز قد أخذت تفقد من مهارتها يوماً بعد يوم، رغم ما أوجّهه لها من توجيهات باستمرار؛ فهي لم تعد قادرة إلاّ على السّقوط على أنفها، ممّا يجعلها تصاب، باستمرار، بخدوش تشوّه وجهها، إلى درجة أنّني لم أعد أفكّر في إخراجها معي لفرط ما أصبح وجهها يتنافر مع فساتينها. قلت هذا لأمّي، لكنّني أوصيتها بألاّ تعنّف الآنسة روز.

- أمّا أنا، قال فريتْس، فإنّني قد قلتُ لبابا إنّ فرساً أشقر

قويّاً، سيزيد من قيمة إسطبلي، كما أنّني قد رجوته بأن ينتبه إلى أنّه لا وجود البتّة لجيش دون خيّالة خفيفين، ولذلك فنحن في حاجة إلى سريّة خيّالة كي نُكمل الفرقة العسكريّة التي أتولّى قيادتها.

في هذه اللّحظة قدّرتِ الآنسة ترودشن أنّ الفرصة مناسبة كي تأخذ الكلمة مرّة ثانية.

- أنتما تعلمان، أيّها السيّد فريتْس والآنسة ماري، أنّ الطّفل المسيح هو الذي يعطي ويبارك كلّ الدّمى الجميلة التي يأتونكما بها. لا تعمَدا إذن إلى تعيين الدّمى التي ترغبان في نَيلِها، لأنه يعرف أحسن منكما ما هي الدّمى التي يمكن أن تعجبكما أكثر من غيرها.

- آه! نعم، قال فريتْس، لذلك لم يقدّم لي، السّنة الماضية، إلا جنوداً مشاة، في حين يروق لي أنا، كما سبق أن قلت، أن تكون لي سَريّة خيّالة.

- أما أنا، قالت ماري، فليس لي إلاّ أن أشكره، لأنني لم أكن أطالب إلاّ بدمية واحدة، فحصلت أيضاً على حمامة جميلة وردية السّاقين والمنقار.

في تلك اللّحظة، كان الظلام قد أرخى سدوله تماماً، إلى درجة أنّ الطّفلين كانا قد شرعا يتحدّثان بصوت أكثر

خفوتاً، وهما يقتربان أحدهما من الآخر أكثر فأكثر، فقد كان يبدو لهما أنّهما يشعران، حولهما، بخفقان أجنحة الملائكة الذين يحرسونهما، وأنّهما يسمعان، في البعيد، موسيقى هادئة ورائقة، وكأنّ الأمر يتعلّق بأُرغن يغنّي تحت أقواس كاتدرائية، عن ميلاد المسيح. في تلك اللّحظة مرّ شعاع قويّ على الجدار، ففهم فريتْس وماري أنّ الأمر يتعلّق بالطّفل المسيح الذي، بعد أن وضع الدّمى في غرفة الاستقبال، حلّقَ على متن سحابة ذهبية في اتّجاه أطفال آخرين ينتظرونه وقد نفدَ صبرُهم هم أيضاً.

فور ذلك سُمع صوتُ جرس، فانفتح الباب مصوِّتاً، وانبعث من البيت شعاع ضوءٍ كان من القوّة بحيث ظلّ الطّفلان منبهريْن، وهما لا يملكان من القوّة إلاّ ما أسعفهما كي يصيحا:

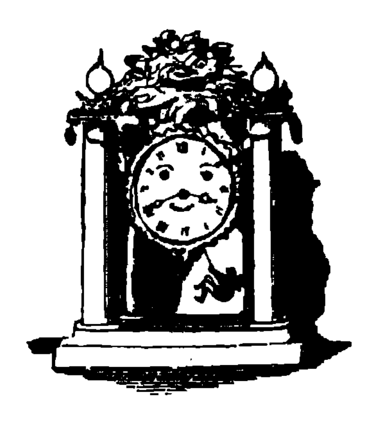
- آه! آه! آه!

عندئذ أتى القاضي وزوجته، فوقفا على عتبة غرفة الاستقبال وأمسكا بفريتْس وبماري من كفّيهما، وقالا:

- تعاليا لتريا، أيها الصّديقان العزيزان، ما الذي أتاكما به الطّفل المسيح.

دخل الطّفلان على الفور إلى غرفة الاستقبال، فسارت

الآنسة ترودشن في أثرهما بعد أن وضعت ما كان بيدها على الكرسيّ الذي كان أمامها.



الفصل الثاني

شجرة الميلاد

أنتم يا أطفالي الأعزّاء تعرفون، بالتّأكيد، سوس وجيرو، المتاجريْن الكبيريْن في الأشياء التي تُسعد الأطفال. لا شكّ أنّكم قد أُخذتم إلى حانوتيْهما الرّائعين، فقيل لكم، بعد أن حظيتم برصيد مفتوح: «تعالوا، خذوا واختاروا». عندئذ كنتم قد وقفتم متقطّعي الأنفاس، عيونكم جاحظة وأفواهكم فاغرة، فحصل لكم أن عشتم لحظة انخطاف لن تحظوا بها ثانية في حياتكم أبداً، ولا حتّى في اللحظة التي ستصبحون فيها أكاديميّين أو نوّاباً في البرلمان أو من بين نبلاء فرنسا. وإذن، فقد حصل لفريتْس وماري الشّيء نفسه الذي حصل لكم، عندما دخَلا غرفة الاستقبال ورأيا شجرة الميلاد وهي تبدو وكأنّها تخرج من المائدة العظيمة المغطّاة بسماط أبيض والمثقلة بزهور من سكّر عوضَ زهور طبيعيّة، فضلاً عن تفّاح ذهبيّ،

وبصنوفٍ من الملبّس عوضَ الفواكه الطبيعيّة. كان كلّ ذلك يلمع على ضوء مائة شمعة مخفيّة بين أوراق شجرة الميلاد، ممّا كان يجعلها تصبح مشعّة بالطّريقة نفسها التي تشعّ بها أشجار الإضاءة خلال الحفلات العمومية. عندما رأى فريتس ما رأى، حاول القيام بقفْزات، تكريماً للسيّد بوشيت، أستاذه في





الرّقص، بينما لم تقمْ ماري حتّى بمحاولة التحكّم في دمعتيْ فرحٍ كبيرتين كانتا تتدحرجان، مثل جوهرتين سائلتين، على خدّيها المتفتّحين وكأنّهما نوّارتان.

لكنّ الأمر أصبح أعظم عندما تمّ المرور من العامّ إلى التّفاصيل، فرأى الطّفلان المائدة مكسوّة بلُعَب من كلّ صنف. رأت ماري دمية أطول بمرّتين من الآنسة روز وكسوةً صغيرة

فاتنة من حرير معلّقة إلى مشجب. واكتشف فريتْس سَريّةَ خيّالة مصطفّين على المائدة، يرتدون عباءات حمراء ويعتمرون ضفائر مذهّبة، وهم يمتطون جيّاداً بيضاء، بينما رأى عند قدم المائدة نفسها الفرس الأشقر المشهور مربوطاً؛ وهو الفرس نفسه الذي يفتقر إليه إسطبله. كما رأى الإسكندر الجديد




وهو يمتطي «بوسيفال» اللاّمع الذي كان قد أُهديَ له مطهَّماً ومُلجَماً. وبعد أن جعل فريتْس الفرسَ يدور حول شجرة الميلاد وهو يعدو، ثلاث أو أربع مرّات، صرّح، وهو يترجّل عنه، أنّ الفرس مهما يكُنْ متوحّشاً ومهما يكنْ جموحاً، فإنّ بالإمكان ترويضه حتّى أنّه قد يصبح، قبل أن ينقضي شهر واحد، طيّعاً مثل حَمَل.

توقّف الفرَس إذن، وأطلقت ماري على دميتها الجديدة اسم الآنسة كلارشن، وهو ما يعادل بالفرنسية اسم «كلير» (أي «الألِقة»)، كما يعادل «روشن» بالألمانية اسم «روز» (أي «وردة») بالفرنسية. في تلك اللّحظة سُمع رنين الجرس السائغ، للمرّة الثّانية، فالتفت الطّفلان إلى المكان الذي أتى منه الصّوت، أي إلى زاوية من غرفة الاستقبال.

عندئذٍ رأيا أمراً لم يكونا قد انتبها إليه في البداية، لفرط ما كانا منشغليْن بشجرة الميلاد المشعّة التي كانت تحتلّ وسَط غرفة الاستقبال: ذلك أنّ تلك الزّاوية من الغرفة كانت مفصولة بواسطة ستار صينيّ، يُسمع خلفه ضجيجٌ وموسيقى، ممّا كان يوحي بأنّ أمراً ما جديداً وغير معتادٍ كان يدور في تلك الزاوية. في تلك اللّحظة تذكّر الطّفلان، معاً، أنّهما لم يلمحا بعدُ المستشار الطّبيّ، فصاحا معاً:

- آه! العرّاب دروسلماير!

عندما تلفّظا بتلك الكلمات، بدا وكأن السّتار لم يكن ينتظر سوى ذلك كي ينثني وكي يبدو من خلفه، لا العرّاب دروسلماير وحسب، وإنّما أيضاً مجسَّم بديع هنا وصفه:

فوَسطَ برّيةٍ خضراءَ ومرصّعة بالورود، كان يقوم قصرٌ رائع تزيّنه بضع نوافذ زجاجيّة على واجهته وصومعتان

مذهّبتان على جانبيْه. وفي اللّحظة التي سُمعت فيها موسيقى تنبعث من داخله، فُتحت أبوابه ونوافذه، فأصبح ممكناً أن تُرى بداخله شموعٌ مشتعلة طولها نصف بوصة، ورجالٌ قِصار ونساء قصيرات يتجوّلون. كان الرّجال يرتدون ملابس فاخرة مطرّزة، بِستراتٍ وسراويل حريرية، السّيف مثبّت إلى الحزام والقبّعة تحت الإبط. أمّا السّيدات فكنّ يرفلنَ في ملابس من الاستبرق أو الحرير الموشّى، وهنّ يحملن سِلالاً كبيرة، شعورهنّ مرتّبة إلى اليمين، يحملن في أيديهنّ مراوح يهوّين بها وجوههنّ وكأنّ ارتفاع درجة الحرارة قد أنهكهنّ. وفي غرفة الاستقبال الوسطى، التي كانت مُنارة بشكل كامل بفضل ثريّا مليئة بالشموع، كان يرقص على وقع تلك الموسيقى جمعٌ من الأطفال: الذكور بسترات واسعة والفتيات بفساتين قصيرة. في تلك اللّحظة نفسها، بدا على نافذة غرفة مجاورة رجلٌ ملتفّ في معطف من فرو،



هو بالتأكيد رجلٌ ذو قيمة اجتماعية عالية، فبدأ يطلّ ويؤتي حركات ثمَ يعود للاختفاء. العرّاب دروسلماير، بدوره، كان يرتدي سترته «الرّودنْغوت»[7] الصّفراء، ويضع على عينه اليمنى اللّصقة، وعلى رأسه شعرَه المستعار. كان يبدو نسخة طبق الأصل من دروسلماير الحقيقيّ، سوى أنّه لا يزيد طوله على بضعة سنتمترات. وكان يخرج ويدخل وكأنّه يريد أن يدعوَ المتجوّلين إلى الدخول إلى منزله.

كانت اللّحظة الأولى، بالنّسبة للطّفلين، لحظةَ مفاجأةٍ وابتهاج، لكنّ فريتْس الذي ظلّ مستنداً بمرفقيه إلى حافة النافذة لبضع دقائق وهو يتفحّص القصر، انتصب واقفاً واقترب بنفاد صبر، قائلاً:

- لكن، لماذا تعْمد أيّها العرّاب دروسلماير إلى الدّخول من الباب نفسه والخروج من الباب نفسه؟ أنا أعتقد أنّك ستتعب من الدّخول والخروج من المكان نفسه. اخرجْ من هذا الباب وادخل من ذاك.

قال له فريتْس ذلك وهو يشير بإصبعه إلى بابَي الصّومعتين.

- لكنّ ذلك غير ممكن، أجاب العرّاب دروسلماير.

- إذن، واصلَ فريتْس، قدّم لي خدمة واصْعَد السّلم وقِفْ في النّافذة مكان هذا الرّجل وقُل له أن يذهب هو إلى الباب

بدلاً منك.

- مستحيل يا عزيزي فريتْس!، قال المستشار الطّبي من جديد.

- إذن، فإنّ الأطفـال قد رقصوا بما فيه الكفايـة. عليهم الآن أن يخرجوا في نزهة، بينما يشرع المتنزّهون في الرّقص مكانهم.

- لكنّ ما تقوله غير معقول، أيّها السائل الذي لا يكفّ عن السّؤال! صاح العرّاب الذي كان قد بدأ يغضب وأضاف: على الميكانيكا، أي الآليّة، أن تشتغل وفقَ ما صُنعتْ من أجله.

- إذن، قال فريتْس، فأنا أريد أن ألج القصر.

- آه!، قال القاضي، أنت بهذا تبدو فاقداً تماماً لعقلك يا طفلي العزيز. فأنت ترى أنّ من المستحيل أن تدخل القصر، ما دامت دوّارتَا الرياح اللتان تعلوان الصّومعتين يصل حجمهما بالكاد إلى حجم كتفك.

اقتنع فريتْس بما قاله القاضي، فصمتَ، وظلّ ينظر إلى الرّجال والنّساء الذين لا يكفّون عن التّجول، وإلى الأطفال الذين يواصلون رقصهم، والرّجلِ ذي الفرو الذي يدخل ويخرج على رأس لحظات متساوية، والعرّاب دروسلماير الذي لا يغادر الباب، فقال بعد لحظة، بنبرة تشي بخيبة أمله

وبسأمه العميق:

- أيّها العرّاب دروسلماير، إن كانت صنائعك هذه لا تعرف أن تقوم بأيّ شيء آخر غير ما تقوم به وتعيد القيّام به، فإنّ بإمكانك أن تأخذها غداً، فأنا لا اهتمام لي بها. أنا أحبّ بقوّة فرسي الذي يعدو عندما أريد أنا ذلك، كما أحبّ خيّالتي الذين يتحرّكون عندما آمرهم أنا بذلك ويسيرون إلى اليسار وإلى اليمين وإلى الأمام وإلى الخلف، والذين ليسوا محبوسين في أيّ منزل، خلافاً لشخصيّاتك المسكينة الصّغيرة التي تجد نفسها مرغمة على السّير كما تريد لها الميكانيكا أو قوانين الآلة أن تسير.

عندما قال فريتْس ذلك، ترك العرّاب دروسلماير وقصرَه خلفه، وتوجّه نحو المائدة، ثمّ وضع سريّة خيّالته في وضعية استعداد للمعركة.

أمّا ماري، فكانت قد ابتعدت، بدورها، بخطوات وئيدة، لأن الحركة المنتظمة لكلّ تلك الدّمى الصّغيرة بدت لها حركة رتيبة. غير أنّها لم تقل أيّ شيء، مخافة أن تغضب العرّاب دروسلماير، فمن المعروف عنها أنها طفلة فاتنة، وعطوفٌ. وبالفعل، فإنّ العرّاب دروسلماير، ما إن انصرف عنه فريتْس، حتّى بدا وكأنه مجروح من كلام الطّفل، فقال للقاضي وحرَمِه:

- ما هذا؟ ما هذا؟ إنّ تحفة مثل هذه لم تُصنع من أجل الأطفال. سأضع قصري في علبته وسآخذه معي.

لكنّ زوجة القاضي اقتربت منه، محاولةً إصلاح ما ترتّب عن قلّة أدب فريتْس، وشرعت تستعلم بالتفصيل عن تحفة العرّاب، سائلةً ومستوضحةً أسرارَ بناء القصر ومُطريةً بكامل الحَصافة على تركيبته المعقّدة، ممّا جعلها لا تصل فقط إلى إزالة الانطباع السّيئ من ذهن العرّاب، وإنّما استطاعت أيضاً أن تجعل هذا الأخير يُخرج من جيب سترة «الرودنغوت» الصّفراء عدداً كبيراً من مجسّمات نساءٍ ورجالٍ قصارٍ، بجلد أسمر وبعيون بيضاء وأيدٍ وأرجلٍ مذهّبة. وفضلاً عن إتقان صنع أولئك النّساء والرّجال القصار، فإنّ رائحة عَطِرة كانت تنبعث منهم، لأنّهم كانوا مصنوعين من خشب القرفة.

في تلك اللّحظة نادت الآنسة ترودشن على ماري واقترحت عليها أن تقدّم لها ذلك الفستان الحريريّ الجميل الذي كان قد فتنَها عندما دخلتْ، والذي كانت قد سألت إن كان بإمكانها أن ترتديه. لكنّ ماري، رغم أنها معروفة بأدبها الجمّ، لم تجب الآنسة ترودشن، لأنّها كانت مأخوذة بشخصيّة جديدة اكتشفتها لتوّها بين اللُّعَب. وتلك الشّخصيّة، يا أطفالي الأعزّاء، هي الشّخصية التي أرجوكم أن تولوها كلّ

اهتمامكم، لأنّ من المنتظر أن تكون هي الشّخصية المحورية لهذه الحكاية الحقيقية، إذْ لن تكون الآنسة ترودشن وماري وفريتْس والقاضي وزوجته، بل وحتّى العرّاب دروسلماير، سوى شخصيّات ثانوية، بالنسبة لها.



الفصل الثالث

الرّجل القصير ذو المعطف الخشبي

كنّا نقول، إذن، إنّ ماري لم تستجب لدعوة الآنسة ترودشن لأنّها كانت قد اكتشفت لتوّها دمية جديدة لم يكن قد سبق لها أن رأتها.

وبالفعل، فعندما كان فريتْس يُدير سَريّته ويجعلها تهتزّ وتستدير حول نفسها، كان قد جعل دميةَ رجلٍ قصير جذّاب، تظهر وهي تستند، حزينة، إلى جذع شجرة الميلاد. كان الرّجل القصير صامتاً ولبقاً، وهو ينتظر دوره كي يصبح بادياً للعيان. إنّ هناك أشياء يجب أن تقال عن قامة هذا الرّجل القصير، والذي نستعجل وصفه بأنّه جذّاب، رغم أنّ نصفه العلويّ كان أطول قليلاً ممّا ينبغي، فلم يكن منسجماً بشكل كامل مع ساقيه الصّغيرتين الهزيلتين، وأنّ رأسه كان كبيراً، ممّا كان يجعله غير متناسب مع الأبعاد التي لا تحدّدها الطبيعة

وحدها، وإنّما أيضاً أساتذة الرّسم الذين هم أعلم بذلك من الطّبيعة نفسها.

لكن، إن كان في جسده كلّ تلك النّقائص، فإنّه كان يعوّضها بحُسنِ هندامه، الذي كان يدلّ على أنّه رجل تربية وذوق: كان يرتدي سترة من مُخمل بنفسجيّ اللّون عليها بعض الزّخارف وأزرارها مذهّبة، وسروالاً من القماش نفسه، مع جزمة رائعة لم يسبق لأحد أن رأى مثيلاً لها عند طالب، لا بل حتّى عند ضابط. ذلك أنّها كانت على مَقاسه تماماً ممّا كان يُظهرها وكأنّها مرسومةٌ على قدميه. لكن، كان ثمّة شيئان يبدوان غريبين عن هذا الذّوق الذي يبدو منتمياً لمجتمع مُخمليّ: معطف خشبيّ رديء وضيّق، مصنوعٌ من المادّة عينها التي صُنع منها ذيلٌ كان يربطه إلى رقبته ويتركه ليتدلّى وسط ظهره، وطاقيّة جبليّة سيّئة عدّلها على رأسه. لكنّ ماري، عندما رأت ذلك التّنافر بين هذين الأمرين وباقي لباس الرّجل، كانت قد فكّرت أنّ العرّاب دروسلماير نفسه كان يرتدي فوق سترة «الرودنْغوت» الصّفراء ياقةً ليست بأحسن حالاً البتّة من المعطف الخشبيّ الذي يرتديه الرّجل القصير على الطّريقة البولنديّة. كما رأت أنّ العرّاب كان يعتمر أحياناً طاقيّة تصيب رؤيتها بالاشمئزاز، وليس لها أيّ مثيل في



رَدَاءتِها بين كلّ طاقيّات العالم بأجمعه. لكنّ ذلك لم يكن يمنع من أن يكون دروسلماير عرّاباً رائعاً. وقد وصلت ماري إلى حدّ أن أسرّت لنفسها بأنّ العرّاب دروسلماير، حتّى إذا عمَد إلى أن يلبس على طريقة الرّجل القصير ذي المعطف الخشبيّ، فإنه لن يستطيع أبداً أن يصبح قريباً من طيبته ولطافته.

وعلينا أن نعلم بأنّ ماري عندما كانت تفكّر بتلك الطّريقة، كانت تقوم، في الآن نفسه، بفحص معمّق للرّجل القصير الذي اتّخذته صديقاً منذ أن رأته لأوّل مرّة. والحال أنّ ماري، كلّما كانت تفحصه أكثر، كانت تكتشف ما يتّسم به جسده من رقة ومن لطف. لم تكن عيناه الخضراوان الصّافيتان تعربان إلاّ عن الهدوء وعن العطف. وكلّ ما كان بالإمكان أن

تُؤاخَذ به هاتان العينان هو أنهما كانتا جاحظتيْن. وكانت لحيته المصنوعة من القطن المجعّد، والممتدّة على ذقنه كلّه، تلائمه تماماً وتُبرِز ابتسامته التي ترتسم على فمه المرتخي قليلاً، ربّما، لكنّه أحمر ولامع. هكذا، وبعد أن تملّته لأكثر من عشر دقائق، مبديّة نحوه عطفاً متزايداً، ودون أن تجرؤ على لمسه، قالت:

- أوه! قلْ يا أبي الطّيب، لمن هذا الرّجل القصير المتكئ هنا على شجرة الميلاد؟

- ليس لأحدٍ على وجه التعيين، هو لكما معاً، أجاب القاضي.

- ماذا تقصد يا أبي؟ أنا لا أفهمك.

- هو سيعمَل لصالح الجميع، واصل القاضي، هو الذي سيُكلّف من الآن فصاعداً بكسر كل حبّات البندق التي ستأكلانها. فهو لكما كليكما سواء بسواء.

بعد أن قال القاضي ذلك، حمل الرّجلَ القصيرَ برفقٍ من المكان الذي كان موضوعاً فيه، ثم رفع معطفه الخشبيّ الضّيق وجعله، بلمسة بسيطة، يفتح فمه، مبديّاً صفّين من الأسنان البيضاء والمدبّبة. عندئذ وضعت ماري، بطلب من أبيها، حبّة بندق في فمه، فسُمِع صوت كراك! كراك! فكسر الرّجل القصير البندقة بمهارة فائقة، إذ سقطت القشرة على الأرض

في شكل عدد كبير من القطع الصّغيرة، أمّا النواة فقد ظلّت سالمة في كفّ ماري. آنئذٍ فهمت الطّفلة الصّغيرة أنّ الرّجل



القصير المتأنّق ينتمي إلى تلك السّلالة القديمة والمبجّلة من كسّاري البندق الذين يعادلون في قدمهم قدم مدينة نومبيرغ. الرّجل القصير إذن يعمل على مواصلة تلك المهنة الشّريفة والإنسانية التي مارسها أسلافه منذ القديم. شرعت ماري، المبتهجة باكتشافها، تقفز من الفرح، ممّا حَدا بأبيها لأن يقول لها:

- إذن، يا ماري الصّغيرة، فما دام «كسّارة البندق» يعجبك إلى هذه الدّرجة، ورغم أنّ لفريتْس أيضاً حقّاً فيه، فإنّك أنتِ بالخصوص من ستتكلّفين بالعناية به. أنا أضعه إذن في حمايتك.

عندما تلفّظ القاضي بتلك الكلمات، سلّم الرجلَ القصيرَ

إلى ماري التي أخذته بين أحضانها وجعلته يمارس على الفور مهنته. لكنّها كانت تختار له، لطيبة قلبها، حبّات البندق الأكثر صغراً حتّى لا يحتاج محميُّها لفتح فمه على سعته، فيظهر في



حال غير لائقة، وتتّخذ ملامحه شكلاً مثيراً للسّخرية. عندئذ اقتربت الآنسة ترودشن كي تستمتع بدورها بالنّظر إلى الرّجل القصير، فأصبح لزاماً على «كسّارة البندق» أن يقوم بواجبه نحوها هي أيضاً. وقد استجاب بخضوع ودون أن يبدي أيّ تبرّم، رغم أنّ الآنسة ترودشن ليست سوى خادمة.

غير أنّ فريتْس، رغم انهماكه في ترويض فرسه الأشقر وتدريب سريّته، سمع صوت انكسار البندق الذي تكرّر لعشرين مرّة، ففهمَ أنّ أمراً ما جديداً قد حدث. لذلك رفع رأسه وحوّل عينيه المتسائلتين نحو المجموعة المكوّنة من



القاضي وماري والآنسة ترودشن، فلمحَ بين ذراعي أخته الرّجلَ القصيرَ ذا المعطف الخشبيّ. عندئذ نزل من على فرسه وسارع نحو ماري، دون أن يكون له الوقت الكافي كي يربط فرسه الأشقر في الإسطبل. وعندما وصل حيث كانت تقف أعلنَ عن حضوره بإطلاق ضحكةِ ابتهاجٍ عالية ناتجة عن رؤيته لوجه الرّجل القصير الذي كان يصبح مشوّهاً عندما يفتح فمه الكبير. بعد ذلك طالب بنصيبه من البندق الذي كان





يكسره الرّجل القصير، فسُلّم له، ثمّ طالب بحقّه في أن يجعله هو نفسه يكسّره، فتمّت الاستجابة لطلبه هذه المرّة أيضاً، ما دام له الحقّ في نصف «كسّارة البندق». غير أنّ فريتْس، وعلى العكس من أخته، بدأ يختار الحبّات الأكبر والأصلب كي يدخلها في فم «كسّارة البندق»، ممّا جعل الحاضرين يسمعون، بعد خمسٍ أو ستٍّ من حبّات البندق التي أدخلها فريتْس في فم الرّجلَ القصير، فجأةً، صوت كراك، ورأوا ثلاث أسنان تسقط من لثّة «كسّارة البندق»، وقد تفكّك ذقنه، فأصبح على



الفور واهناً مرتعشاً وكأنّه شيخ عجوز.

- آه! يا «كسّارة البندق»[8] المسكين والعزيز! صاحت ماري وهي تنتشل الرّجل القصير من كفّ فريتْس.

- إنّه غبيّ مغفّل!، صاح فريتْس. هو يريد أن يصبح كسّارة بندق، لكن بِفكٍّ من زجاج: إنه «كسّارة بندق» مزوّر

لا يعرف كيف يقوم بمهمّته. هَاتِه يا ماري، فعليه أن يواصل كسر البندق من أجلي، حتّى ولو فقد باقي أسنانه وخُلع فكّاه كلّيةً. لكن ما الذي يُهمّكِ في هذا الكسول؟

- لا، لا! صاحت ماري وهي تضغط الرّجل القصير بين ذراعيها. لا، لن أعطيَك أبداً «كسّارة البندق» المسكين. انظُر كيف ينظر إليّ بملامحه الشّقية وهو يبدي فكّه المسكين المجروح! تبّاً لك! أنت ذو قلب قاسٍ، تضرب جيادك، وقمت، منذ مدّة، حتّى بإطلاق النار على أحد جنودك.

- أنا أضرب جيادي عندما تكون جامحة، أجاب فريتْس بتبجّحه المعهود، أمّا بالنسبة للجنديّ الذي أطلقت عليه النار



من مدّة، فهو مجرّد أفّاق لم أستطع أن أجعله يقوم بأيّ شيء منذ أن أصبح في خدمتي منذ سنة. وقد انتهى به الأمر أنْ عمَد إلى الفرار ذات صباح حاملاً معه سلاحه ومتاعه، وهو ما يكون جزاؤه، في كلّ بلاد الدنيا، الإعدام. وعلى أيّ حال، فإنّ هذه الأمور لها علاقة بالانضباط، وهو ما لا علاقة للنّساء به. وإن كنت أنا لا أمنعكِ من ضرب دُماك، فعليك أنت أيضاً ألاّ تمنعيني من ضرب جيادي ومن إطلاق النّار على جنودي. أمّا الآن، فأنا أريد «كسّارة البندق».

- أنقذني يا أبي الطّيب! قالت ماري وهي تلفّ الرجل القصير في منديل جيبها، أنقذني! إن فريتْس يريد أن يأخذ





مني «كسّارة البندق».

عندما أطلقت ماري صرختها، لم يأت نحوهما القاضي وحده، وإنّما سارع بالاقتراب أيضاً كلّ من زوجة القاضي والعرّاب دروسلماير. عرضَ الطفلان، كلّ من جانبه، وجهة نظره: ماري كي تحتفظ بـ «كسّارة البندق»، وفريتْس كي يأخذه. وقد كانت دهشة ماري كبيرة عندما سمعت العرّاب دروسلماير يؤيّد وجهة نظر فريتْس، راسماً على شفتيه بسمةً بدت لها شرّيرة. لكنْ، ولحسن حظّ المسكين «كسّارة البندق»، وقف القاضي وزوجته إلى جانب وجهة نظر ماري.

- عزيزي فريتْس، قال القاضي، لقد وضعتُ «كسّارة البندق» في حماية أختك. وبحسب معلوماتي البسيطة في

الطّب، والتي تسمح لي بأن أصدر حكماً الآن، يبدو لي أنّ هذا المسكين البائس قد تعرّض لأضرارٍ كبيرة، وهو في حاجة إلى علاج مكثّف. فأنا، إذن، أعطي لماري كامل الصّلاحية لأن تعتني به حتّى تمرّ مرحلة نقاهته على أحسن وجه، ولا أسمح لأحد بأن يناقش هذا القرار. ثمّ، أين رأيت أنت، وقد أصبحتَ على هذا القدر من المعرفة العسكريّة، جنرالاً يطلق النّار على جنديّ جريح يؤدّي مهمّته؟ الجرحى يذهبون إلى المستشفى إلى أن يعافَوا، وإن لم يشفوا وبقوا ذوي عاهةٍ صارَ لزاماً إيواؤهم في ملجأ جرحى الحرب.

أراد فريتْس أن يحتجّ، لكن القاضي رفع سبّابته إلى مستوى عينه اليمنى، وأطلق هاتين الكلمتين:

- السّيد فريتْس!

وقد سبق لنا أن رأينا أيّ تأثير يكون لهاتين الكلمتين على الطّفل الصّغير. انسحبَ، ذليلاً، بعد هذا التّوبيخ، ثمّ انسلّ، دون أن يتلفّظ بكلمة واحدة، من الجانب الذي توجد فيه سّرية الخيّالة على المائدة. الخيّالة بدورهم، كفّوا عن الحراسة، ثمّ استداروا وانصرفوا صامتين إلى مبيتهم الذي سيقضون فيه ليلتهم.

أثناء ذلك، كانت ماري تجمع الأسنان الصّغيرة لـ «كسّارة

البندق» الذي كانت ما تزال تحتفظ به ملفوفاً في منديلها، وقد ربطت ذقنه بقطعة ثوب بيضاء قطعتها من فستانها القطنيّ. الرّجل القصير، من جانبه، كان يبدو ممتقعاً جدّاً وخائفاً، لكنّه كان يبدو أيضاً واثقاً من طيبوبة حاميّته. وعندما أحسّ بأنّها تهدهده، بدأ يشعر بالأمان شيئاً فشيئاً. آنئذ لاحظت ماري أنّ العرّاب دروسلماير كان ينظر إليها بنظرة ساخرة وهي تقدّم تلك العلاجات لمعطف الخشب وكأنها أمّه، وقد بدا لها حتّى أنّ العين الوحيدة للمستشار الطّبيّ، كانت تحمل تعبيراً خبيثاً وشريراً، الأمر الذي لم تعتد عليه من العرّاب. لكلّ ذلك أرادت أن تبتعد عنه.

آنئذ رفع العرّاب دروسلماير عقيرته بالضحك وهو يقول:

- بحقّ الرّب! أنا لا أفهم يا ابنتي بالتّبني كيف يمكن لطفلة جميلة مثلك أن تبدي كلّ هذا العطف نحو هذا الرّجل القصير البشع.

التفتت ماري، وهي ترى أنّ الإطراء الذي تلفّظ به عرّابها في حقّها لا يمكنه أن يعوّض هجومه الظّالم على «كسّارة البندق»، وشعرت بغيظ شديد، لا ينسجم مع طبيعتها الهادئة، فعادت إلى ذهنها تلك المقارنة التي سبق لها أن أقامتها بين عرّابها وبين الرّجل القصير:

- أيّها العرّاب دروسلماير، قالت ماري، أنت تظلم «كسّارة البندق» الصّغير المسكين، إذْ تصفه بأنه رجلٌ قصير بشع. ومَن يدري، إن كانت لك سترته البولنديّة وسرواله الصّغير الجميل وجزمته الصّغيرة الجميلة، إنْ كنت ستبدو جميلاً مثله.

عندما سمع أبوَا ماري ما قالته ابنتهما، شرعا يضحكان، فتمدّد أنف المستشار الطّبيّ بشكل ظاهر.

لماذا تمدّد أنف المستشار الطّبي بتلك الطّريقة، ولماذا رفع القاضي وزوجته صوتيهما بالضّحك؟ ذلك ما كانت ماري تحاول سدىً أن تعرفه، وهي مندهشة من ردّ الفعل الذي أثارته إجابتها.

والحال أنّه ما دام غيرَ ممكن وجودُ ردّ فعل دون فعل، فإن ردّ الفعل ذاك كان مرتبطاً بالتأكيد بأمرٍ ما مُلغزٍ وغير معروف، وسيُشرح لنا في ما سيأتي.



الفصل الرابع
أشياء رائعة

أنا لا أدري، يا أصدقائي الصّغار الأعزّاء، إن كنتم تتذكرون أنّني قد حدّثتكم عن خزانة زجاجيّة كان الطّفلان يضعان فيها لعَبهما؛ وعلى أيّ حال، فتلك الخزانة كانت توجد على يميننا ونحن ندخل مكتب القاضي. كانت ماري ما تزال في المهد، وكان فريتْس لا يكاد يقوم بخطواته الأولى، عندما كان القاضي قد استقدم نجّاراً ماهراً كي يصنعها. كان النجّار قد زيّنها بمربّعات لامعة، تبدو اللّعَب، بسببها، أجمل عشر مرّات وهي موضوعة على الرّف منها عندما تكون في أيدينا. على الرّف العلويّ الذي لم يكن بإمكان فريتْس ولا بإمكان ماري الوصول إليه، كانت توضع تحف العرّاب دروسلماير. وعلى الرّف الذي يوجد أسفله مباشرة، كانت توضع الكتب المصوّرة. وأخيراً كان الرّفان المتبقّيان متروكين

لفريتْس ولماري، كي يشغلاهما بما يشاءان. وغالباً ما كان يحدث، اعتماداً على اتفاقية ضمنيّة، أن يستولي فريتْس على الرّف العلويّ لكي يجعل منه مخيّماً لفرقه العسكريّة، بينما



كانت ماري تحتفظ بالرّف السّفليّ لتضع عليه دُماها مع مستلزماتها وأسرّتها. وذلك ما حصل أيضاً خلال يوم عيد الميلاد هذا: وضع فريتْس القادِمين الجدد على الرّف العلويّ وقدّمت ماري غرفة نوم الآنسة روز وسريرها، بعد أن نفتها إلى زاوية من الرّف، للآنسة كلير، وهو اسم الدّمية الجديدة، ودعتْها لأن تقضي برفقتها ليلة تأكلان خلالها الحلويات. بعد ذلك أجالت الآنسة كلير بصرها حولها فرأت أشياءها مرتّبة على الرّف ومائدتَها مليئة بالحلويات وباللوز الملبّس،

ورأت بالخصوص سريرها الصّغير الأبيض بلحافه المصنوع من ثوب السّاتان الوردي الجميل، فبدت راضية بمسكنها الجديد.

بقي الطّفلان منشغلين بأمورهما حتّى تقدّم اللّيل. كانوا على مشارف منتصف اللّيل، وكان العرّاب دروسلماير قد انصرف من مدّة إلى غرفته، بيد أنّ الأبوين كانا قد عجزا عن إبعاد الطّفلين من أمام الخزانة.

وعلى غير العادة، كان فريتْس هو أوّل من استجاب لأبويه اللّذين كانا يدعوّانهما لأن ينتبها إلى أنّ وقت النّوم قد حلّ.

- بالفعل، قال فريتْس، فبعد التّمرين الذي قام به شياطيني الخيّالة المساكين، من المفروض أن يكونوا الآن متعبين جدّاً. والحال أنّني أعرفهم، فهم جنود شجعان ويعرفون واجبهم تجاهي؛ فما دمت أمامهم، فإنّ أحداً منهم لن يسمح لنفسه بأن يغمض عينيه، لذلك فأنا سأنسحب.

عندئذ، وبعد أن قدّم فريتْس لجنوده كلمة سرّ كي لا تفاجئهم أيّة دوريّة من العدوّ، انسحب بشكل نهائيّ.

لكنّ الأمر كان مختلفاً مع ماري؛ فعندما طلبت منها أمّها، التي كانت تستعجل اللّحاق بزوجها الذي كان قد انسحب سلفاً إلى غرفة نومه، أن تغادر الخزانة، أجابتها:

- لحظة أخرى، لحظة أخرى قصيرة، يا أمّي العزيزة. اتركيني كي أنهيَ أموري، فما تزال أمامي أشياء كثيرة عليّ أن أنجزها، وأعدك بأنّني بمجرّد أن أنهيها سأذهب لأنام.

قدّمت ماري طلبها هذا بصوت متوسّل. وعلى أيّ حال، فهي طفلة مطيعة ومنضبطة، ممّا جعل أمّها لا ترى أيّ ضرر في أن تستجيب لما تطلبه منها. وبما أنّ الآنسة ترودشن كانت قد صعدت سلفاً وأعدّت سرير الطّفلة الصّغيرة، ومخافةَ أن تنسى ماري إطفاء الشّموع قبل أن تنام، بسبب انشغالها الظّاهر بلعَبها الجديدة، تكفّلت زوجة القاضي بالقيام بذلك بنفسها، فلم تترك إلاّ مصباح السّقف الذي كان ينشر في الغرفة ضوءاً لطيفاً باهتاً، وانصرفت بدورها، وهي تقول:

- لا تتأخّري في الالتحاق بغرفتك، يا ماري العزيزة، فأنت إن بقيتِ إلى وقت متأخّر ستتعبين وربّما لن تستطيعي أن تستيقظي غداً.

عندما تلفّظت زوجة القاضي بتلك الكلمات، غادرت غرفة الاستقبال وأغلقت الباب خلفها.

وبمجرّد أن وجدتْ ماري نفسها وحدها، عادت إلى الفكرة التّي كانت تشغلها أكثر من غيرها: أقصد أنّها عادت لتفكّر في صديقها الصّغير المسكين «كسّارة البندق» الذي

كانت ما تزال تحمله بين ذراعيها ملفوفاً في منديل جيبها. وضعته برفق على المائدة وخلعت ثيابه ثمّ شرعت تضمّد جراحه. كان «كسّارة البندق» قد تألّم كثيراً، فكان يبدو وكأنّه غاضب.

- آه يا رجلي الصّغير العزيز!، قالت بصوت خفيض، أرجوك لا تغضب من الألم الذي سبّبه لك أخي فريتْس، ففعْله لم يكن ناتجاً عن نيّة سيّئة، كنْ متأكّداً من ذلك. فسلوكه أصبح قاسياً بعض الشّيء كما أنّ قلبه أضحى أكثر قسوة، بسبب الحياة العسكريّة التي يعيشها. أمّا ما عدا هذا، فهو طفل طيّب جدّاً، أؤكد لك ذلك. وأنا أعلم أنك عندما ستتوطّد معرفتك به ستسامحه. وعلى أيّ حال، فمقابل الآلام التّي سبّبها لك أخي، سأقوم أنا بعلاجك بطريقة جيّدة ومركّزة. وأؤكّد لك أنك ستتعافى في غضون بضعة أيّام، فتصبح في أحسن حال.





أمّا فيما يتعلّق بإعادة تركيب أسنانك وشدّ فكّك المخلوع، فإنّ ذلك يعتبر من اختصاص العرّاب دروسلماير الذي يتقن القيّام بهذه الأمور.

لكنّ ماري لم تستطع إنهاء خطبتها؛ فهي عندما تلفّظت باسم العرّاب دروسلماير، قام «كسّارة البندق»، الذي كان الخِطاب موجّهاً إليه، بتكشيرة فظيعة، وأصدر من عينيه الخضراوين شعاعاً مضاعفاً وشديد اللّمعان، ممّا جعل الطّفلة الصّغيرة تخطو خطوة إلى الوراء، مرتعبة. لكنْ، وبما أنّ «كسّارة البندق» استرجع على الفور هيئته الجسديّة التي توحي بالطيبة وابتسامته الحزينة، فإنّ ماري قد اعتقدت أنّها

كانت ضحيّة توهّم، وأنّ لهَب المصباح، وقد لعبت به الرّيح، هو الذي غيّرّ ملامح الرجل القصير.

لا بل وصل بها الأمر حدّ أن بدأت تتهكّم على نفسها قائلة:

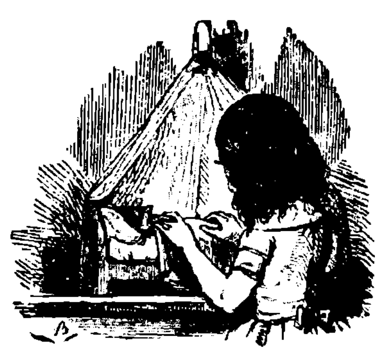
- لقد كنت في الحقيقة غبيّة عندما صدّقت للحظة واحدة أنّ وجه الخشب هذا بإمكانه أن يُكشّر. هيّا، لأقتربْ منه أكثر ولأعالجْه كما ينبغي له.

عقب هذا الحوار الدّاخليّ، حملت ماري محميَّها بين ذراعيها، واقتربت من الخزانة الزّجاجية وطرقت الباب الذي كان فريتْس قد أغلقه، ثمّ قالت للدّمية الجديدة:

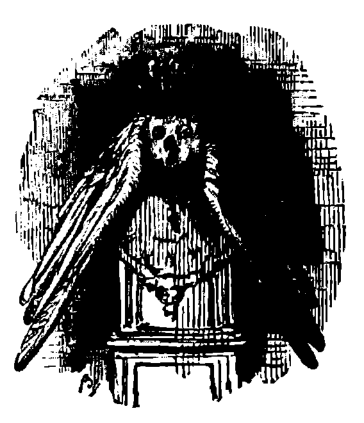
- أرجوك يا آنسة كلير أن تتركي سريرك لـ «كسّارة البندق» المريض. اتركيه له لليلة واحدة وحاولي أن تنامي على الأريكة. أنتِ في كامل ليّاقتك وتتمتّعين بصحّة جيّدة، كما تدلّ على ذلك وجنتاك الحمراوان والمكتنزتان. وعلى أيّ حال فإنّك ستفعلين ذلك لليلة واحدة، واللّيلة سرعان ما تنقضي، كما أنّ الأريكة جيّدة، ولن تجدي في مدينة نومبيرغ دمىً أخرى تنام بطريقة مريحة كما ستنامين أنت.

لم تجب الآنسة كلير، كما كان متوقّعاً، ولو بكلمة واحدة، لكنّ ماري اعتقدت أنّ ردّ فعلها كان بارداً، وأنّها قطّبت

وجهها. لكنّ ماري، التّي كانت تشعر بأنّ ضميرها مرتاح ما دامت قد اعتنت بدميتها كلير عناية كاملة، لم تُطل الحديث معها، وسحبتِ السّرير نحوها ووضعت فيه، بعناية كاملة، «كسّارة البندق» المريض، ثمّ سحبت عليه اللحاف إلى حدود ذقنه. عندئذ فكّرت بأنّها لا تعرف بعدُ حقيقة مزاج الآنسة كلير، ما دامت لم تحصل عليها إلاّ منذ ساعات معدودات. رأت أنّ مزاجها كان عكِراً وهي تعيرها سريرها، وأنّ حالة الجريح قد تؤول إلى ما لا تحمد عقباه إنْ هيَ تركتْه تحت رحمة هذه الشّخصيّة الوقحة. ونتيجة لتفكيرها ذاك، وضعت السّرير و«كسّارة البندق» الممدّد فيه على الرّف العلويّ، قريباً من المكان الذي تُخيّم فيه خيّالة فريتْس. وبعد أن وضعت الآنسة كلير على أريكتها أغلقت الخزانة، وهمّت بالذّهاب للالتحاق بالآنسة ترودشن في غرفة نومها. لكنْ، وفي تلك



اللّحظة، بدأت تسمع أصواتاً كثيرة خافتة خلف الأرائك وخلف الموقد وخلف الخزانات. كانت تلك الأصوات تصدر من كلّ زاوية من الغرفة، حول الطّفلة الصّغيرة. وكانت توجد على الساعة الكبيرة المثبتة إلى الجدار، عوضَ طير الوقواق المعتاد، بومةٌ ضخمة مذهّبة اللّون. كانت الساعة تهرّ وسط كل تلك الجلبة بصوت يصبح أكثر فأكثر ارتفاعاً، وكفّت عن إصدار دقّاتها. ألقت ماري نظرة على السّاعة الكبيرة فرأت أنّ البومة الضّخمة المذهّبة كانت قد بسطت جناحيها عليها حتّى غطّتها بالكامل، وهي تمدّ إلى الأمام، قدر ما تستطيع، رأسها القبيح الشّبيه برأس قطٍّ ذي عينين مستديرتين ومنقار معقوف. عندئذ أصبحت تهرّ بصوت أكثر ارتفاعاً، ثمّ تغيّر الصّوت ليصير وشوشة شبيهة بالصّوت، فأصبح بالإمكان



تمييز هذه الكلمات التي بدت وكأنّها تخرج من منقار البومة:

- أيّتها السّاعات، أيّتها الساعات، هِرّي بصوت خفيض، فأذُن ملك الفئران حسّاسة. بُم، بُم، بُم، اقتصري على الغناء، أنشدي له أغنيّته القديمة. بُم، بُم، بُم، رِنّ أيّها الجرس، رنَّ معلناً عن ساعته الأخيرة، لأنّ هذه هي ساعته الأخيرة.

عندئذٍ سُمع صوت اثنتي عشرة دقّة خافتة ومبحوحة: بُم، بُم، بُم.

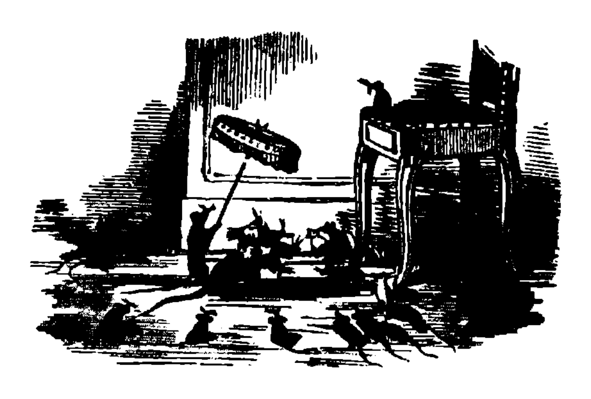
شعرت ماري بخوف شديد، فبدأت ترتعش من أعلى رأسها إلى أخمص قدميْها. وكانت على وشك الفرار عندما رأت العرّاب دروسلماير جالساً على السّاعة الكبيرة، في مكان البومة، فكان جناحا سترته «الرّودنْغوت» الصّفراء قد أخذا مكان جناحي الطّائر اللّيليّ المتدلّيين. عندما رأت العرّاب دروسلماير، تسمّرت في مكانها من الدّهشة وشرعت تصيح وهي تبكي:

- أيّها العرّاب دروسلماير، ماذا تفعل هناك؟ انزلْ إلى جانبي، ولا ترعبني بوضعيّتك تلك، أيّها العرّاب الشّرير.

عندما تلفّظت ماري بتلك الكلمات، بدأ صوتان يتناوبان في الفضاء: صفير حادّ وقهقهة مسعورة. بعد ذلك مباشرة، سُمع وقعُ آلاف الأقدام الصّغيرة وهي تمشي خلف الجدران،



ثم شوهدت آلاف الأضواء الصّغيرة التي تلمع عبر شقوق الحواجز. وأنا عندما أقول آلاف الأضواء، فإنّني أكون مخطئاً، لأنّ الأمر كان يتعلّق بآلاف العيون الصّغيرة اللاّمعة. عندئذ انتبهت ماري إلى أنّ هناك أعداداً كبيرة من الفئران التي تستعدّ



للدّخول. وبالفعل، فبعد خمس دقائق، شرعت آلاف الفئران تدخل الغرفة من مفاصل الأبواب ومن شقوق الأرضية، ثمّ شرعت تعدو هنا وهناك، كي تصطفّ على الفور بالطّريقة نفسها التي كان فريتْس قد اعتاد أن ينظّم بها فرقه العسكريّة استعداداً للمعركة. بدا ما قامت به الفئران مسلّياً بالنسبة لماري؛ فهي ستستمتع دون شكّ بما ترى، ما دامت الفئران لا تثير لديها ذلك الرّعب الطّبيعيّ والطّفوليّ الذي تثيره لدى باقي الأطفال. لكنّها سرعان ما سمعت صفيراً مرعباً وحادّاً وممتدّاً، ممّا جعلها تشعر ببرد مثلّج يمرّ على ظهرها. في تلك اللّحظة نفسها، شرعت الأرضية، عند قدميها، تهتزّ، فبدا أمامها، وسط التّراب والجبس وحطام الأرضية، ملكُ الفئران برؤوسه السّبعة المتوّجة، مدفوعاً بقوّة تحت-أرضيّة، فبدأت تلك الرّؤوس السّبعة تتمايل وتصدر صفيراً مقزّزاً، بينما كان باقي الجسد الذي تنتمي إليه تلك الرّؤوس، يخرج من الأرض بدوره. عندئذ أقبل الجيش كلّه كي يقف قرب ملكه، وهو يصدر أصواتاً جماعية وكأنّه جوقة منظّمة. ثم شرعت عساكر الفئران، على الفور، تعدو في الغرفة، محافظة على نظامها، فتوجّهت نحو الخزانة الزّجاجية التي كانت ماري تقف لصْقها، وأحاطت بها من كلّ جانب، مجبرةً إيّاها

على التراجع. سبق لنا أنْ قلنا إنّ ماري ليست طفلة خوّافة، لكنها عندما وجدت نفسها مُحاطة بتلك الأعداد الغفيرة من الفئران، التي يقودها وحش بسبعة رؤوس، استولى عليها الرّعب فشرع قلبها يخفق بقوّة حتّى بدا لها كأنّه سيقفز من صدرها. ثمّ بدا لها فجأة وكأنّ دمها قد تجمّد، فبدأت تجد صعوبة في التّنفّس. بدأت تترنّح كالفاقدةِ وعيَها، ثمّ سقطت على الخزانة الزّجاجية، فضربتْها بمرفقها وسقط الزّجاج على





الأرض مفتّتاً. في تلك اللّحظة شعرت بألم حادّ في مرفق يدها اليسرى، لكنّها شعرت، في الآن نفسه، بأنّ قلبها قد تخفّف من عبء، لأنها ما عادت تسمع أصوات الفئران المرعبة والتي كانت قد أصابتها بالذّعر. وبالفعل، كان كلّ شيء قد أصبح هادئاً حولها، فاعتقدت أنّ الفئران قد التجأت إلى جحورها

مرعوبة من الصّوت الذي أحدثه زجاج الخزانة وهو يتكسّر.

لكنْ، وعلى الفور، أعقبتْ ضجيجَ الفئران حركةٌ غريبة داخل الخزانة، فبدأت أصوات صغيرة حادّة تصيح بقوّتها المحدودة: «إلى السّلاح! إلى السّلاح! إلى السّلاح!» وبدأ جرس القصر يرنّ في تلك اللّحظة نفسها، فبدأت تُسمع في كلّ جانب وشوشة: «هيّا، الإنذار، الإنذار! استيقظوا: لقد هجم العدوّ. المعركة! المعركة! المعركة!».

التفتت ماري، فرأت الخزانة مُضاءة بطريقةٍ مُعجزة، كما سمعت بداخلها حركة دائبة: كانت لُعَب المهرّجين والرّجال المتنكّرين والبهلوانات والدّمى المتحرّكة تضجّ داخل الخزانة وتعدو هنا وهناك وهي تحمّس بعضها بعضاً. أمّا الدّميات فكانت تُعدّ ضمادات وأدوية لمعالجة الجرحى. وأخيراً قذف «كسّارة البندق»، بدوره، الغطاءَ من فوقه وقفز أسفل السّرير على ساقيه معاً وهو يصيح:

– عودي أيّتها الفئران الغبيّة إلى جحورك حالاً وإلاّ لَكان لي معك شأن.

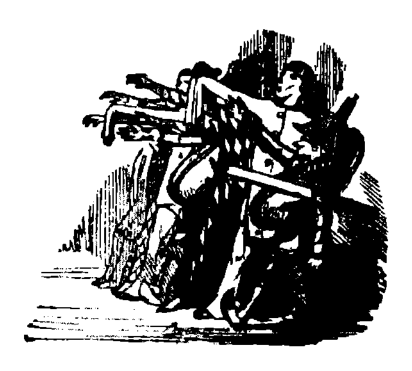
لكن، وبعد أن تلفّظ «كسّارة البندق» بذلك التهديد، سُمع صفير عالٍ، فانتبهت ماري إلى أنّ الفئران لم تكن قد التحقت بجحورها كما كانت اعتقدت، وإنّما كانت قد ذهبت، مرعوبة

بصوت الزّجاج وهو ينكسر، لتختبئ تحت الموائد والأرائك، فبدأت الآن تخرج من مخابئها.

«كسّارة البندق» بدوره، بدا غير مرغوبٍ تماماً بالصّفير، بل بدا وكأنّ شجاعته قد تضاعفت.

- آه! هذا أنت إذن، يا ملك الفئران البائس. أنت قبلتَ أخيراً المعركة التي طالما عرضتها عليك. تعال إذن، وليتحدّد مصيرنا خلال هذه اللّيلة. أمّا أنتم يا أصدقائي الطيّبين، ويا رفاقي وإخواني، إن كنّا قد جمعت بيننا علاقةُ تعاطف ونحن في حانوت زكرياس بالأمس، فلتدعموني في هذه المعركة القاسيّة. هيّا، إلى الأمام! لِيتبعني من يحبّني!

لم يسبق أبداً لنداءٍ أن أحدث ذلك التّأثير الذي أحدثه نداء «كسّارة البندق»: صاح مهرّجان ورجل متنكّر وبهلوانان وثلاث دمىً متحرّكة، بصوت عالٍ:





- نعم، سيّدي، اعتمد علينا. إمّا حياة وإمّا ممات! إمّا أن ننتصر تحت قيادتك أو نموت معك.

عندما سمع «كسّارة البندق» هذه الكلمات التي تدلّ على أنّ له تقديراً في قلوب أصدقائه، شعر بحماسة بالغة، فسلّ سيفه، ودون أن يُعير انتباهاً للعلوّ المرتفع الذي كان يوجد



فيه، قذف بنفسه من الرّف الثاني. صاحت ماري وهي تراه يقفز من ذلك العلوّ القاتل، فهي كانت تعلم بأنّ «كسّارة البندق» لم يكن بإمكانه أن ينجو من قفزته تلك. لكنّ الآنسة كلير، التي كانت على الرّف السّفليّ، نهضت من أريكتها واستقبلت «كسّارة البندق» بين ذراعيها.

– آه! يا كلير الطّيبة والعزيزة، صاحت ماري وهي تضمّ كفّيها برقّة، كم أسأتُ تقديركِ!

لكنّ الآنسة كلير قالت لـ «كسّارة البندق»، وهي في كامل الانهمام بما يجري:

– كيف تكون سيّدي على هذه الحال من المعاناة وتجازف باقتحام مخاطر جديدة؟ اكتفِ بتسيير المعركة واترك الآخرين يحاربون. شجاعتك يعرفها الجميع، ولست في حاجة لأن تقدّم عليها أدلّة جديدة.





عندما تلفّظت الآنسة كلير بهذه الكلمات أمسكت بـ «كسّارة البندق» وضمّته إلى صدرها، لكنّ «كسّارة البندق» شرع يضرب بساقيه ويتمرّد فوجدت الآنسة كلير نفسها مرغمة على إطلاقه فانزلق من بين ذراعيها ووقف برشاقة على ساقيه، ثم وضع إحدى ركبتيه على الأرض وهو يقول:

– كوني متأكّدة أيّتها الأميرة من أنني سأتذكّرك دائماً، وإنْ كنتُ في قلب المعركة، رغم أنّك كنت ظالمة لي بعضَ الوقت.

عندئذ انحنت الآنسة كلير إلى أدنى مستوىً ممكن فأمسكت به من ذراعه الصّغيرة وأرغمته على النّهوض. بعد ذلك فسخت بحيوية حزامها الذي تلمع لآلئه، وجعلت منه وشاحاً حاولت وضعه على كتفَي البطل الصّغير. لكن «كسّارة البندق» تراجع إلى الوراء بخطوتين وانحنى بنصفه العلويّ دلالةً على اعترافه بصنيعها، وفكّ قطعة الثّوب البيضاء التي كانت ماري قد ربطت بها فكّه وحملها إلى شفتيه ثمّ تحزّم بها، فقفز خفيفاً ونشيطاً مثل طائر، واستلّ سيفه الصّغير من على الرّف الذي كان موضوعاً عليه. وعلى الفور بدأت أصوات الفئران وصريف أسنانها ترتفع بعدوانية كبيرة، فخرج ملك الفئران، وكأنّه يريد أن يجيب عن تحدّي «كسّارة البندق»، من

تحت المائدة الكبيرة التي تقع وسط الغرفة، محفوفاً بفيلقه، بينما شرعت الفئران، من على يمينه وعلى يساره، تغادر، في شكل جناحين، الأرائكَ التي كانت تختبئ تحتها.





الفصل الخامس

المعركة

- أعلِن الهجمة يا نفير! وأطلقي الإنذار يا طبول! صاح «كسّارة البندق».

شرع نفيرُ سريّة خيّالة فريتْس يُصدي على الفور، بينما أخذت طبول المشاة تدقّ، فسُمعت الجلبة المتعاظمة لأصوات المدافع وهي تطلق نيرانها. تشكّلت، في اللّحظة نفسها، فرقة موسيقية من عازفي قيثارة ومن نافخي مزاميرِ قربةٍ ومن رعاةٍ سويسريّين ينفخون في قرون وموسيقيين سود يحملون آلاتهم الموسيقية المثلّثة؛ كل أولئك شرعوا ينزلون، متطوّعين، من رفّ إلى آخر في مسيرة منظّمة، رغم أنّ «كسّارة البندق» لم يكن

قد استدعاهم. أدّى ذلك، بالتّأكيد، إلى تحميس الأشخاص ذوي النّزعة السّلمية، فتشكّل على الفور، تحت قيّادة حارس الكنيسة، حرسٌ مدنيّ انتظم فيه المهرّجون والبهلوانات والدّمى المتحرّكة والرّجال المقنّعون، فشرعوا يتسلّحون بأيّ شيء يعثرون عليه، معلنين استعدادهم للمشاركة في المعركة. وقد شوهد حتّى طبّاخٌ يغادر فرنه وهو يحمل سفّوداً عليه ديك روميّ نصف مشويّ، ثمّ أخذ مكانه ضمن صفوف الحرس المدني. بعد ذلك تصدّر «كسّارة البندق» هذه الفرقة العسكريّة اللاّمعة التّي كانت أوّل من أعلن الاستعداد لبدء المعركة بقدر من الحسم تخجل أمامه الجيوش النّظامية.



لكن علينا أن نكون صرحاء أيضاً، حتّى لا يعتقد أحدٌ أنّنا نتعاطف بشكل أعمى مع ميليشيا المواطنين هذه، التي ننتمي إليها: لم يكن الخطأُ خطأَ خيّالة فريتس ومشاته، عندما لم يستطيعوا أن يكونوا جاهزين بالسّرعة نفسها التي أصبح بها الآخرون على استعداد للمعركة. ذلك أنّ فريتْس عندما كان قد عيّن الحرّاس، وعزّز الخطوط الأمامية، كان قد جعل



باقي الجيش يُخيّم في أربع عُلَب وأغلقها عليهم. ورغم أنّ هؤلاء السّجناء الأشقيّاء كانوا قد سمعوا النفيرَ وقرعَ الطّبول ينادیانهم للمشاركة في الحرب، فإنّهم قد وجدوا أنفسهم محبوسين فلم يستطيعوا الخروج. كانَت تُسمع لهم حركات داخل العلب وكأنّهم سرطاناتُ بحرٍ تتململ في سلّة. وأخيراً استطاع رماة القنابل أن يغادروا علبتهم التي لم تكن محكمة الإغلاق، فقدّموا يد المساعدة للقنّاصة وللرماة. سرعان ما

انتصب هؤلاء واقفين، فأحسّوا على الفور بالدور الأساس الذي من المفروض أن تلعبه الخيّالة، فتوجّهوا لإخراجهم من علبتهم، فشرع هؤلاء، على الفور، يَنْجرّون على خواصرهم إلى أن نهضوا واقفين فاصطفّوا رُباعَ رباع.

غير أنّ الجيوش النّظامية، إن كانت قد تأخّرت في التّأهب للمعركة، بسبب النّظام الذي فرضه عليها فريتْس، فإنّها سرعان ما استدركت. شرع الخيّالة والفرسان ورجال المدفعية ينزلون متدفقين مثل انجراف ثلجيّ، وسط تصفيقات الآنسة روز والآنسة كلير اللتين كانتا تشجّعانهم بصوتيهما وبأكفّهما، تماماً كما كانت تفعل قديماً سيّدات القصر اللاّئي تنحدران هما منهنّ بكلّ تأكيد.

لذلك فهِم ملك الفئران أنّ معركته ستكون ضدّ جيش متكامل. وبالفعل، فقد كان «كسّارة البندق» يقف وسط حرسه المدنيّ اللاّمع، وعلى يساره كان يوجد فيلق الخيّالة الذي لم يكن ينتظر إلاّ إشارة كي يعبّئ أسلحته، وعلى يمينه



كان يوجد مشاة رائعون، بينما كانت قد أُقيمت على كرسيّ يطلّ على ساحة المعركة كلّها مجموعة من عشر قطَع مدفعيّة. هذا فضلاً عن أنّ جيشاً احتياطيّاً مكوّناً من الخبز المبهّر وفرسان السّكّر كان قد ظلّ في الخزانة فأخذ يبدي هياجه هو الآخر. لكنّ ملك الفئران كان قد تقدّم ولم تعد هناك إمكانية للتراجع. أعطى إشارة بدء المعركة هاتفاً «كويْك» كما عندما يكسر بندقةً، فكرّر الصوتَ كلُّ جيشه وكأنّه جوقة.

في تلك اللّحظة دوّى صوت المدفعيّة، من على الكرسي، وهي تقذف تجمّع الفئران بسرب من الشظايا.

في الآن نفسه تقريباً تحرك فيلق الخيّالة كي يعبئ أسلحته. كانت حركة جياد الخيّالة من القوّة بحيث أنّ الغبار الذي أثارته، مع أدخنة المدافع التي كانت تصبح أكثر فأكثر كثافة، حجبت الرّؤية عن ماري فلم تعد ترى ما يدور في ساحة المعركة.

لكنها ظلّت تسمع صوت «كسّارة البندق» يعلو على أصوات المدافع وصراخِ المحاربين وحشرجةِ الموتى.

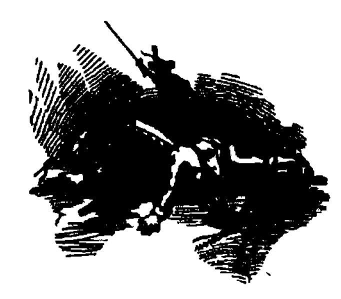
- أيّها الرقيب المهرّج، صاح «كسّارة البندق»، خذْ معك عشرين رجلاً واذهبوا لتنهشوا خاصرة جيش العدوّ. وأنت أيها الملازم البهلوان، شكلوا مربّعاً. ويا أيّها القبطان

المضحّك، قُد عمليّات إطلاق النار في المقدّمة. وأيّها العقيد الخيّال، عبّئ بكثرة ولا تقتصر على تعبئة أربعٍ فأربع كما تفعل الآن. أحسنتم، يا جنود الرّصاص، أحسنتم! إنْ أدّى كلّ جندي دوره كما تفعلون أنتم، ربحنا المعركة!



لكنّ ماري فهمت، من هذه التّشجيعات نفسها، أنّ المعركة كانت حاميّة الوطيس، وأنّ النّصر مشكوك في أمره. كان جنود الخيّالة، في المقدّمة، يطلقون النّار على الفئران ويقتلونها بدفقات من الشّظايا، فيتراجع من بقي منها على قيد الحياة. كانت وهي تتراجع تأخذ في عضّ كلّ ما تراه في طريقها وتمزيقه، وكان يحصل أحياناً أن يلتقي الخصمان في تشابك طاحن بالأيدي، كما كان يحصل في زمن معارك الفرسان، ممّا

كان يجعل كلّ فرد يهاجم خصمه ويدافع عن نفسه، دون أن يهتمّ بما يحصل لجاره. كثيراً ما حاول «كسّارة البندق» أن يسيطر على الوضعية العامّة للمعركة، لكنّه لم يفلح. هاجم فيلق من الفئران كتيبة الخيّالة فتفرّقت، ثمّ أخذت تحاول، دون جدوى، أن تتجمّع من جديد حول عقيدها؛ فقد كان فيلق كبير من الفئران قد فصل كتيبة الخيّالة تلك عن باقي الفرق العسكريّة وعن الحرس المدنيّ الذي كان يحقّق العجائب؛ كان حارس





الكنيسة يقاوم بسلاحه القديم، وهو يكثر من الحركات وكأنّه قاعد على نار. أمّا الطّباخ فكان يُدخل في سفّوده صفوفاً كاملة من الفئران. وكان جنود الرّصاص يقفون صفّاً واحداً مثل جدار. لكن المهرّج كان قد رُدّ على عقبيه مع رجاله العشرين، فأتى ليحتمي بالمدفعيّة. كما أنّ مربّع الملازم البهلوان كان قد اقتُحِم، فأدّى أفراده الذين كان يخلّفهم وراءه إلى انتشار

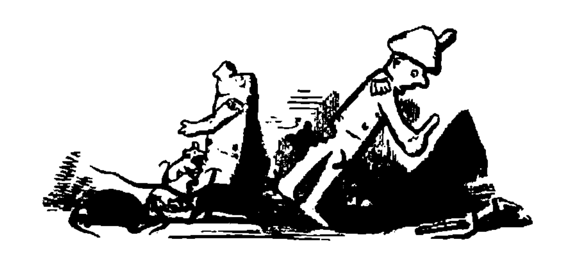



الفوضى في صفوف الحرس المدنيّ. وأخيراً كان القبطان المضحِّك قد أوقف إطلاق النّار، بسبب نفاد الرّصاص من غير شكّ، فبدأ يتراجع خطوة خطوة، لكنه، على أيّ حال، كان يتراجع. نتج عن هذا التّراجع الذي حصل في كلّ الصّفوف أنْ أصبحت بطّاريات المدفعيّة مكشوفة. فأمرَ ملك الفئران، على الفور فرقه العسكريّة الأكثر مهارة بأن تطلق النّار عليها؛ فهو كان يعلم أنّ انتصاره في المعركة مشروط بالسّيطرة على مدفعيّة العدوّ. فاستولتْ في لحظة وجيزة على موقعها، فقُتل رجال المدفعيّة وسقطت جثثهم على مدافعهم. وقد قام أحد رجال المدفعيّة هؤلاء بإضرام النار في صندوق ذخيرته فأخذ معه، في موته البطوليّ ذاك، حوالى عشرين من الأعداء. لكنّ الشجاعة لا تؤدّي في النّهاية إلى الانتصار على الكثرة؛ وعندما وقع سرب من الشّظايا على الفرقة العسكريّة

التي كان يقودها «كسّارة البندق» نفسه، علمَ أنّ مدفعيّته قد سقطت في يد العدوّ.

منذ تلك اللّحظة، فهم «كسّارة البندق» أنّه قد خسر المعركة، فأصبح همّه الوحيد هو أن ينسحب بشرف. لكنْ، وكي يخفّف الطّوق على جنوده، نادى على الجيش الاحتياطيّ.

نزل من الخزانة، على الفور، جنودُ الخبزِ المبهَّر وفيلق الحلوى المسكّرة، وانخرطوا في المعركة. كانوا ما يزالون يتمتّعون بطراوتهم، هذا صحيح، لكنّ خبرتهم كانت محدودة للغاية. وكان عساكر الخبزِ المبهَّر، بالخصوص، عديمي المهارة، فشرعوا يضربون ذات اليمين وذات الشمال، مصيبين، في الآن نفسه، الأصدقاء والأعداء. أمّا جيش الحلويات فقد وقف صامداً، لكنّ الانسجام كان مفقوداً تماماً بين محاربيه؛ إذْ كان من بينهم الأباطرة والفرسان والمحاربون التّيرُولِيّون[9] والبستانة والفتيان الوسيمون والقرود والسّباع



والتّماسيح، ممّا كان يجعلهم غير قادرين على توحيد تحرّكاتهم، فكانت قوّتهم تنحصر في كثرتهم. غير أنّ مشاركتهم أدّت، مع ذلك، إلى نتيجة محمودة: بمجرّد أن ذاقت الفئران عساكرَ الخبزِ المبهَّر وقرضت أجسادَ الحلويات، تخلّت عن جنود الرّصاص الذين وجدت صعوبة في قرضهم وعن المهرّجين والبهلوانات والعسس والطبّاخين الذين لم يكونوا محشوّين إلا بالكتّان وبالنّخالة. هُوجم إذن الجيش الاحتياطيّ، فوجد نفسه، خلال لحظة وجيزة، محاطاً من كلّ جانب بآلاف الفئران. وبعد أن أبدى مقاومة بطوليّة، أُكل عن آخره مع أسلحته وكلّ متاعه.

حاول «كسّارة البندق» أن يستغلّ لحظة الاستراحة هذه، كي يُعيد رصّ صفوف جيشه، لكنّ المنظر المرعب للجيش الاحتياطيّ وهو يُباد بتلك الطّريقة، ألقى بالرّعب في قلوب أشجع جنوده. كان المهرّج يبدو ممتقعاً مثل ميّت، وكانت ملابس البهلوان ممزّقة، وكان فأرٌ قد استطاع التّسلل من حدبة المضحِّك فشرع يلتهم أحشاءه، كما كان قد فعل، من قديم، ثعلب كان محارب إسبرطيّ قد أخفاه تحت ثيابه. وأخيراً أُسر عقيد الخيّالة مع جزء من فيلقه، فلم يعد الأمر، إذن، يتعلّق، بالنسبة لـ «كسّارة البندق»، بانتصار؛ بل ما عاد

يتعلّق حتّى بانسحاب، وإنّما بالهلاك. عندئذ وقف «كسّارة البندق» في مقدّمة مجموعة صغيرة من الجنود الذّين قرّروا مثله أن يقاوموا حتّى الموت.

سادت الخيبة، في تلك اللحظات، صفوف الدّميات، فشرعت الآنسة كلير والآنسة روز تلويان أذرعهما وهما تصرخان:

- يا للأسف! صاحت الآنسة كلير، لماذا يكون عليّ أن أموت في عزّ شبابي، أنا ابنة الملك التي ينتظرني مستقبل زاهر؟

- يا للأسف! صاحت الآنسة روز، لماذا يكون عليّ أن يأسرني العدو؟ ولماذا لم يتمّ الاحتفاظ بي إلاّ كي تقرضني الفئران القذرة؟

كانت باقي الدّمى، أيضاً، تعدو وهي تصرخ باكية، فيختلط بكاؤها بنحيب الدّميتين الرّئيسَتين.

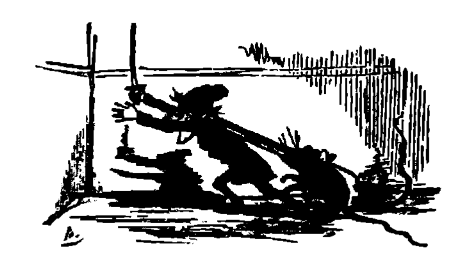
كانت الأمور، بالنسبة لـ «كسّارة البندق»، تمضي من سيئ إلى أسوأ: كان الأصدقاء القلائل الذين ظلّوا مخلصين له حتّى تلك اللّحظة، قد تخلّوا عنه. وكان من بقيَ من سريّة الخيّالة قد فرّ ليحتمي بالخزانة، كما كان جنود الرّصاص قد وقعوا عن آخرهم في أسر العدوّ، أمّا رجال المدفعية فكانوا قد ماتوا منذ مدّة، كما أنّ جنود الحرس المدنيّ هلكوا جميعهم، كالمحاربين



الإسبرطيّين الثلاثمائة في مواجهة الفرْس في قديم الزمان، دون أن يحاولوا التّراجع ولو خطوة واحدة. «كسّارة البندق» بدوره كان قد حوصر أمام الخزانة وهو يحاول سدىً أن يتسلّقها؛ إذْ كان عليه، كي يقوم بذلك، أن يتلقّى عون الآنسة ماري أو الآنسة روز، لكنّهما معاً كانتا قد فقدتا وعيهما. عندئذ قام «كسّارة البندق» بمجهود أخير، فجمع كلّ قواه المتبقّية وصاح، في لحظة يأس قاسية:

– هاتوا فرَساً! هاتوا فرَساً، وخذوا عرشي!

لكنّ صوته ظلّ، كما كان ظلّ صوت الملك ريتشارد الثالث قبله، بدون صدىً، أو بالأحرى جعل العدوَّ يعرف مكانه. سارع نحوه رجُلا مدفعيّة وأمسكا به من معطفه الخشبيّ. في تلك اللّحظة سُمع صوت ملك الفئران يصيح من خلال أفواهه السّبعة:



- أرجوكم، أمسكوا به حيّاً! فأنا أريد أن أنتقم لأمّي، كما أريد أن يكون عذابه عبرة لكلّ «كسّارات البندق» الذين سيأتون بعده.

عندئذ سارع ملك الفئران نحو الأسير.

لكنّ ماري لم تستطع أن تتحمّل رؤية ذلك المشهد المرعب، فصاحت منتحبة:

- آه يا «كسّارة البندق» المسكين! آه يا «كسّارة البندق» المسكين، أنا أحبّك من كلّ قلبي، فهل سأراك تموت بهذه الطّريقة أمامي؟

في تلك اللّحظة، وبحركة غريزيّة، ودون أن تكون واعيّة بما تقوم به، خلعت نعلها من رجلها وقذفت به، بكلّ قوّتها، وسط الجمع، بمهارة فائقة، ممّا جعل الحذاء يصيب ملك الفئران الذي تدحرج على الأرض المتربة. في تلك اللّحظة اختفى الملك والجيش؛ اختفى المنتصرون والمنهزمون، وكأنّهم

قد أُبيدوا عن آخرهم. أحسّت ماري بألم حادّ في ذراعها المجروحة، فأرادت أن تتوجّه إلى أريكة كي تجلس، لكنّ قوّتها لم تسعفها فسقطت مغشيّاً عليها.



الفصل السادس

المرض

عندما استيقظت ماري من غفوتها، وجدت نفسها على سريرها الصّغير. كانت الشّمس المشرقة تلج الغرفة لامعةً عبر نوافذها التي تغطّيها حُبَيبات الجليد. كان يجلس إلى جانبها رجل لا تعرفه، لكنّها سرعان ما علمت أنّه الجرّاح فاندلستيرن، الذي قال بصوت خفيض عندما رآها تفتح عينيها:

- لقد استيقظَت!

عندئذ سارعت زوجة القاضي نحو ابنتها وهي تشملها بنظرة قلقة ومرعوبة.

- آه يا أمّي الغالية، صاحت ماري الصّغيرة وهي ترى أمّها، هل انصرفت كلّ تلك الفئران القبيحة؟ وهل نجا «كسّارة البندق» المسكين؟

- بحقّ الرّب! كفّي يا ماري العزيزة عن التّلفّظ بهذا الهراء. ما علاقة الفئران بـ «كسّارة البندق»؟ أجيبيني. لكنّك، أنت أيّتها الطّفلة الشّرّيرة أصبتِنا بخوف شديد. إنّ ما حصل لك يحصل للأطفال عندما يعصون آباءهم ولا يسمعون كلامهم. لقد استمرَرْت أمس في اللّعب بدُماك إلى وقت متأخّر من اللّيل، وربّما تكونين قد نمت، ومن المحتمل أن يكون فأر صغير قد أرعبك، كما قد تكونين، أخيراً، ضربتِ، من شدّة رعبك، زجاجَ الخزانة بمرفقك، فجرحت ذراعك، فقد قام السّيد فاندلستيرن لتوّه بإخراج قطع من الزّجاج كانت بقيّت بداخل الجرح، وهو يقول إنّك قد خاطرتِ بقطع أحد شرايينك وبالموت من شدّة نزيفك. الحمد لله أنّني استيقظت، لا أدري في أيّة ساعة، وعندما تذكّرتُ أنّني كنتُ قد تركتكِ في غرفة الاستقبال، توجّهتُ إلى هناك، فوجدتك يا طفلتي المسكينة ممدّدة على الأرض، قريباً من الخزانة، وكلّ ما حولك مبعثر: الدّمى والمهرّجون والبهلوانات وجنود الرّصاص والرّجال المصنّعون من الخبزِ المبهّر وخيّالة فريتْس المتناثرون، بينما كنت أنت تحملين بذراعك الدّامية «كسّارة البندق». لكن كيف حصل أنْ كنت لا ترتدين حذاء السّاق اليسرى، الذي كان بعيداً عنك بثلاث أو أربع خطوات؟

- آه يا أمّي! آه يا أمّي! أجابت ماري، وهي ترتعش من تذَكّرها لما حصل. إنّ ما رأيتِه من فوضى هو من مخلّفات المعركة التي دارت بين الدّمى وبين الفئران. إنّ ما كان أصابني برعب شديد هو أنّني رأيت الفئران المنتصرة وهي تتقدّم لأسر «كسّارة البندق» المسكين، الذي كان يقود جيوش الدّمى. ففي تلك اللّحظة كنت قد قذَفت ملك الفئران بحذائي، لكنّني لم أعرف ما الذي حصل بعد ذلك.

عندئذ قام الجرّاح بغمز زوجة القاضي بعينه، فقالت لماري بلطف:

- اطمئني يا ابنتي وانسيْ كلّ ذلك. فالفئران قد انصرفت و«كسّارة البندق» يوجد في الخزانة مبتهجاً وفي أحسن حال.

عندئذ دخل الغرفة القاضي وانخرط في محادثة طويلة مع الجرّاح. لكنّ ماري لم تسمع من كل ما دار بينهما من حديث سوى قول القاضي:

- هذا هذيان.

عندما سمعت ماري ذلك، فهمت بأنهم يشُكّون فيما حَكَتْه لهم. لكنّها قدّرت، هي نفسها، أنّ النهار قد بزغ، وتفهّمت جيّداً أنْ يكونوا يعتبرون كلّ ما أخبرتهم به مجرّد تخريفٍ، فكفّت عن الإلحاح وقرّرت أن تستجيب لكلّ ما

يطلبونه منها. فهي كانت تستعجل أن تنهض كي تتوجّه لزيارة «كسّارة البندق» المسكين. لكنّها كانت على علم بأنّه قد خرج سالماً من المعركة، وهذا كلّ ما كانت تريد، في تلك اللّحظة، أن تعرفه.

غير أنّ ماري كانت متضايقة للغاية من كونها غير قادرة على اللّعب بسبب ذراعها المجروحة. وعندما أرادت أن تقرأ أو أن تتصفّح الكتب المصوّرة، كان كلّ ما حولها قد بدأ يدور، ممّا جعلها تتخلّى على الفور عن تلك التسلية. بدأ الوقت يبدو لها طويلاً بقدر لا يحتمل، فكانت تشرع تنتظر بنفاد صبر مَقدمَ المساء، لأنّ أمّها كانت تأتي لتجلس بالقرب من سريرها فتشرع تحكي أو تقرأ لها حكايات.

والحال أنّ زوجة القاضي، خلال إحدى تلك الأمسيات، كانت قد حكت حكاية الأمير فاكاردان اللذيذة. وبمجرّد الانتهاء منها، انفتح الباب فأطلّ العرّاب دروسلماير برأسه وهو يقول:

– عليّ، مع ذلك، أن أرى بعينيّ كيف حال المريضة المسكينة.

غير أن ماري، بمجرّد مشاهدتها للعرّاب دروسلماير، بشعره المستعار الزّجاجيّ، وباللّصقة على عينه وببذلته

«الرّودنْغوت» الصّفراء، عادت إلى ذهنها بقوّة ذكرى الليلة التي كان «كسّارة البندق» قد خسر خلالها تلك المعركة الشّهيرة ضدّ الفئران، ممّا جعلها تصيح، بطريقة لا إرادية، في وجه المستشار الطّبي:

- آه! أيّها العرّاب دروسلماير، كم كنتَ بشعاً! لقد رأيتك بأمّ عيني، عندما كنت تجلس على السّاعة وكأنك تمتطي فرساً، جناحاك مبسوطان عليها حتّى لا تستطيع السّاعة أن تدقّ. فأنت كنت تعلم أنّ السّاعة عندما تدقّ، تهرب الفئران. لقد سمعتك بأذنيّ تنادي ملك الفئران ذا الرّؤوس السّبعة. لماذا لم تسارع إلى نجدة «كسّارة البندق» المسكين، أيّها العرّاب دروسلماير الرّهيب؟ يا للأسف! فأنت بإحجامك عن ذلك تكون قد تسبّبت في جرحي، وفي أنّني الآن أرقد في فراشي.

كانت زوجة القاضي تنصت لكلّ ما تقوله ماري، عيناها جاحظتان مرعوبتان؛ فهي كانت تعتقد أنّ الطّفلة المسكينة قد عادت إلى الهذيان، ممّا جعلها تخاطبها قائلةً:

- لكنْ ما الذي تقولينه يا ماري العزيزة؟ أتكونين قد فقدت عقلك؟

- أوه، لا! أجابت ماري، والعرّاب دروسلماير يعرف جيّداً أنّني أقول الحقيقة.

لكنّ العرّاب دروسلمايرِ كان قد شرع، دون أن يتلفّظ بأيّة كلمة، في القيّام بتكشيرات مرعبة، وكأنه يجلس على جمرات متّقدة، ثم شرع يقول، فجأة، بصوت أنفيّ رتيب:

على السّاعة
أن تهرّ
تقدّمْ وتأخّرْ
أيّها الفيلق المَهيب!

ستدقّ الساعة النّائحة
منتصف اللّيل.
أقبلت البومة
وفرّ الملك.

على السّاعة
أن تهرّ
تقدّمْ وتأخّرْ
أيّها الفيلق المَهيب!

كانت ماري تنظر إلى العرّاب دروسلماير بعينين تصبحان زائغتين أكثر فأكثر؛ فهو كان يبدو لها أكثر قبحاً من ذي قبل.



وكان من الممكن أن تشعر بخوف رهيب منه لو لم تكن أمّها حاضرة، ولو لم يكن فريتْس، الذي دخل لتوّه، قد قطع تلك الأغنيّة الغريبة بإطلاقه لقهقهة عاليّة.

- أتدري أيّها العرّاب دروسلماير، قال فريتْس، أنّك مضحك للغاية اليوم؟ أنت تقوم بحركات شبيهة بالحركات التي كان يقوم بها مضحّكي الذي قذفتُ به خلف الفرن. كما أنّ أغنيّتك تخالف الحسّ السليم!

لكنّ زوجة القاضي ظلّت جدّية، وقالت:

- أيّها المستشار الطّبي العزيز، إنّ ما تفعله الآن يعتبر مزحة غريبة، كما يبدو لي أنْ لا هدف لمزحتك هذه سوى أن تجعل

مرض ماري يصبح أكثر شدّة ممّا هو عليه الآن.

- أوه! أجاب العرّاب دروسلماير. ألا تتعرّفين، يا سيّدتي العزيزة، على أغنية السّاعة هذه، التي كنت أردّدها عندما كنت آتي إلى بيتكم كي أصلح ساعاتكم؟

قال ذلك وجلس قريباً من سرير ماري فقال لها:

- لا تغضبي أيّتها الطّفلة العزيزة من أنّني لم أنتشل بيديّ العيونَ الأربع عشرة لملك الفئران، لكنّني كنت أعرف ما أقوم به. والآن، وبما أنّني أريد أن أتصالح معك، فإنني سأحكي لك حكاية.

- أيّة حكاية؟ سألت ماري.

- حكاية البندقة كراكاتوك والأميرة بيرليبات. هل تعرفينها؟

- لا يا عزيزي العرّاب، أجابت الطّفلة التي جعلها عرضُ هذا المستشار الطبيّ الذي يضطلع أيضاً بدور الميكانيكيّ تقبل أن تتصالح معه على الفور. هيّا احكِ.

- أرجو أيّها المستشار العزيز، قالت زوجة القاضي، ألاّ تكون حكايتك هذه أكثر كآبة من أغنيّتك.

- آه! لا يا سيّدتي العزيزة، أجاب العرّاب دروسلماير، فهي، على العكس من ذلك تماماً، مسلّية للغاية.

- هيّا إذن، احكِ، صاح الطّفلان.

فبدأ العرّاب دروسلماير حكايته بهذه الطّريقة:

الفصل السابع

حكاية البندقة كراكاتوك

والأميرة بيرليبات



1 - كيف وُلدت الأميرة بيرليبات وغبطةُ أبويها الكبرى بولادتها

كانت توجد على مشارف نومبيرغ مملكة صغيرة، ليست مملكة بروسيا ولا مملكة بولندة ولا مملكة بلاتينات، وكان يحكمها ملك.

وذات يوم، ولَدَت زوجة هذا الملك، التي هي بالنّتيجة ملكةٌ، طفلةً، وجدت نفسها، بالنّتيجة أيضاً، أميرة، فسُمّيت بالاسم الجميل والمتميّز: بيرليبات.

أُبلِغَ الملك على الفور بهذا الحدث السّعيد، فهرع محبوسَ الأنفاس نحو الغرفة. وعندما شاهد تلك الطّفلة الصّغيرة الجميلة ممدّدة في مهدها، فرح فرحاً عظيماً بأن يكون أباً لفتاة بكلّ ذلك الجمال، إلى درجة أنّه خرج عن أطواره، فأطلق في البداية صرخةَ فرحٍ، وشرع يرقص وهو يدور حول نفسه، ثمّ أخذ أخيراً يقفز على رِجْلٍ واحدةٍ وهو يقول:

- آه يا إلهي! أنت الذي ترى الملائكة كلّ يوم، هل سبق لك أن رأيت من بينها ملاكاً أجمل من صغيرتي بيرليبات؟



كان قد أتى وراء الملك الوزراءُ والجنرالاتُ والضّباطُ الكبارُ والعُمداتُ والمستشارون والقضاة. وعندما رأوا الملك يرقص شرعوا هم أيضاً يرقصون وهم يردّدون:



- لا، لا، أبداً يا سيّدي. لا، لا، أبداً لم يوجد في الكون ما هو أجمل من ابنتك بيرليبات.

وبالفعل، فإنّ ما سيفاجئكما يا طفليّ العزيزيْن، هو أنّ هذا الجواب لم يكن فيه أيُّ شيء من المبالغة، لأنّ جمال الأميرة بيرليبات، لم تكن الدّنيا منذ أن وُجدت، قد عرفت له مثيلاً. كان محيّاها الصّغير يبدو وكأنّه قد نُسج من قطن رهيف، كما كان يبدو ورديّاً مثل الورد وأبيض مثل الزّنبق. وكانت عيناها زرقاوين لامعتين كاللاّزورد، ولم يكن ثمّة ما يَسُرّ النّظر مثل شعرها الذّهبيّ المجموع في خصلات جميلة لّماعة تنسكب على كتفيها البيضاوين مثل المرمر. وفضلاً عن كلّ ذلك، كانت بيرليبات قد أتت إلى الدّنيا بصفّين من الأسنان الصّغيرة، أو بالأحرى بصفّين من اللآلئ التي عضّت بها بعنف، ساعتين

بعد ولادتها، إصبعَ كبير المستشارين الذي كان قد انحنى لينظر إليها عن قرب بسبب من قصَر نظره. ورغم أنّه معروف برباطة جأشه، فإنّ البعض يقول إنّه قد صاح:

- يا للشيطان!

بينما أكّد آخرون بأنه قد صاح متألّماً:

- آي! آي! آي!

وإلى الآن، ما تزال الأصوات منقسمة حول هذه المسألة الخطيرة، لأنّه لا أحد من الفريقين أراد أن يسلّم للآخر. لكن الشيء الوحيد الذي ظلّ القائلون إنّه صاح «يا للشّيطان!» والقائلون إنّه صاح «آي!» متّفقين عليه، هو أنّ الأميرة بيرلييات قد عضّت إصبع المستشار الأعظم. عندئذ علم البَلد كلّه أنّ جسد بيرلييات فيه من العقل بقدر ما فيه من الجمال.

كان، إذن، كلّ سكّان هذه المملكة المفضّلة لدى السّماء سعداء. وحدها الملكة كانت قلقة جدّاً ومضطربة، دون أن يستطيع أحدٌ معرفة السّبب. لكنّ ما كان يلفت الانتباه، بالخصوص، هو العناية المفرطة التي كانت تحيط بها هذه الأمُّ الخائفةُ مهدَ ابنتها. وبالفعل، فإنّ الحراسة لم تكن تقتصر على الأبواب التّي يقف عندها حرّاسٌ وهم يحملون رماحهم، وإنّما كان هناك، فضلاً عن هؤلاء الحرّاس وعن الحارستين

اللتين تظلاّن دائماً بجانب الأميرة، ستٌّ أخريات أُجلسنَ حول المهد، وكنّ يُغيِّرن أكثر من مرّة في الليلة الواحدة. لكنّ ما كان يُذكي الفضول، أكثر، وما كان يعجز الجميع عن فهمه، هو لماذا كانت كلّ واحدة من أولئك الحارسات السّت مضطرّةً لوضع قطّ على ركبتيها، فتقضي اللّيل كلّه وهي تحكُّ ظهره حتّى لا يكفّ عن الهرير.



أنا أعلم، يا طفليّ العزيزيْن، أنّ فضولكما يعادل فضول سكّان هذه المملكة الصّغيرة التي لا اسم لها؛ فأنتما تريدان، بالتّأكيد، معرفة سبب اضطرار وضع هؤلاء الحارسات السّت للقطط على رُكبهن وقضاء الليل كلّه في حكّ ظهورها حتّى لا تكفّ لحظة واحدة عن الهرير. لكن، وبما أنّكما تسعيان سدىً إلى فكّ هذا اللّغز، فإنّني سأجنّبكما صداع الرّأس الذي من

المفروض أن يصيبكما من بحثٍ مثل هذا.

كان قد حصل، ذات يوم، أن اتّفق حوالى ستّة من الملوك المشهورين على القيّام بزيارة جماعية لمن سيصبح في المستقبل أبا بطلتنا. أقول في المستقبل، لأنّ الأميرة بيرليبات لم تكن قد ولدت بعدُ آنذاك. وقد رافقهم أمراءُ أبناءُ ملوكٍ، وورثةُ رتبةِ دوق، وطامحون إلى العرش. كانت تلك مناسبةً مواتية بالنسبة لملك مشهور مثله كي يُظهر كرمه وكي يقدّم لضيوفه سلسلة من الألعاب والعروض المسرحيّة. لكنّ ذلك لم يكن كلّ شيء؛ إذ أنّ رئيس الطبّاخين الملكيّين أخبر العاهل بأنّ فلكيَّ القصر قد أعلن أنّ وقت تهيئة الذبائح قد حلّ، وأنّ التقاء الكواكب كان ينبئ بأن السّنة ستكون مناسِبة لذلك. عندما سمع الملك ذلك أمر بأن تقام مجزرة ضخمة للماشية في ساحة قصره. بعد ذلك ركب عربته وذهب كي يلتمس شخصيّاً من كلّ الملوك





وكلّ الأمراء الذين كانوا يقيمون، لحظتئذ، في العاصمة، أن يأتوا ليتناولوا معه الحساء، وهو ينوي أن يفاجئهم بالوجبة الرائعة التي كان يعتزم تقديمها لهم. وعندما عاد إلى بيته التحق بالملكة، فشرع يتقرّب إليها وهو يقول لها بغنجه الذي اعتاد أن يجعلها به تفعل كلّ ما يريد:

- أنت يا صديقتي الغالية لم تنسيْ إلى أي حدّ أحبّ النّقانق، أليس كذلك؟ أنت لم تنسيْ، أليس كذلك؟



فهمت الملكة، بسرعة، ما الذي يريد الملك أن يقوله. وبالفعل، فإنّ الملك كان يريد من وراء تلك الكلمات المُخَاتِلة، ببساطة، أن تهيّئ، كما سبق لها أن فعلت مرّات متعدّدة، بيديها الملكيّتين، أكبر كمّية ممكنة من أنواع النقانق. لذلك ابتسمت عندما سمعت ما قاله زوجها؛ فهي، رغم احترامها للمهنة التي تمارسها بوصفها ملكة، كانت لا تبالي كثيراً بالمدائح التي كانت تُكال لها على هيبتها عندما تحمل الصولجان وتعتمر التاج، في حين كانت تتأثّر بما يقدّم لها من إطراء حول مهارتها في صنع النّقانق أو إعداد الحلويّات. اكتفت إذن بإبداء الطّاعة لزوجها، فقالت له بأنّها خادمته وبأنها ستصنع له كلّ ما طلبه، بل وحتّى ما سيطلبه منها.



قدّم الخازن، على الفور، إلى الطّباخ الملكيّ القِدر الفضّيّ الضّخم مع الطّناجر الخاصّة بإعداد النّقانق. ثمّ تمّ إشعال

نارٍ عظيمة من الصّندل. ارتدت الملكة وزرة المطبخ المصنوعة من الدّمقس الأبيض، فانطلقت على الفور من القِدر روائحُ طيّبة سرعان ما انتشرت عبر أروقة القصر، ودخلت بسرعة إلى كلّ الغرف، ثمّ وصلت، أخيراً، إلى قاعة العرش حيث كان الملك يعْقد مجلسه. كان الملك ذوّاقة، ممّا جعله يستلذّ تلك الرّائحة. لكنْ، وبما أنه ملك معروف بالشّدة ومشهور بقدرته على التّحكّم في نفسه، فإنّه قد استطاع، للحظة، أن يتحكّم في الرّغبة في الانجذاب إلى المطبخ، لكنّه وجد نفسه، في الأخير، رغم قدرته المعروفة على السّيطرة على نفسه، مضطرّاً لأن يستسلم لتلك الرّغبة المكبوحة التّي كان يشعر بها.

- أيّها السّادة، قال وهو ينهض واقفاً، بعد إذنكم، سأعود بعد لحظة. انتظروني.

ثمّ سارع، عبرَ أروقة القصر وغرفه، نحو المطبخ، فاحتضن زوجته وحرّك محتوى القدر بصولجانه الذّهبيّ، وذاق بطرف لسانه، ثمّ عاد إلى المجلس، مطمئنّ البال، فواصل مناقشة القضيّة التي توقّف عندها، شاردَ الذهن إلى حدّ ما.

كان قد غادر المطبخ في اللّحظة التي كانت زوجته تهمّ فيها بوضع شرائح الشّحم، اللاّزمة لتهيئة النقانق، على المشواة الفضّية. أقبلت الملكة على تلك العمليّة بهمّة، مُشجَّعَة بما

أبداه نحوها زوجُها من إطراء، فسقطت أولى قطرات الشّحم مُصْدية على الفحم. في تلك اللّحظة علا صوتٌ مرتعش وهو يردّد:

أعطيني يا أختاه بعضاً من الشّحم؛
فبما أنّني أنا أيضاً ملكة، فأنا أريد أن آكل حتّى أشبع،
وبما أنّني نادراً ما آكل شيئاً بهذه القيمة،
فإنّني أريد قسطي من هذا المشويّ اللّذيذ.



عرفت الملكة على الفور هذا الصّوتَ الذي يحدّثها: كان صوتَ السيّدة فأرون[10].

كانت السيّدة فأرون تسكن القصر منذ زمن طويل،

وكانت تدّعي أنّها متحالفة مع العائلة الملكيّة، وأنّها هي أيضاً ملكةٌ على مملكة الفئران، وأنّها تقيم، تحت موقد المطبخ، بَلاطاً معتبراً.

كانت الملكة امرأة طيّبة القلب ولطيفة. ورغم أنّها كانت ترفض أن تعترف جهاراً للسيّدة فأرون بأنّها ملكة، فإنها كانت تكنّ لها تقديراً خاصّاً وتبادلها المجاملات، ممّا كان يجعل زوجها الملك، الذي يُعتبَر أكثر أرستقراطيةً من زوجته، يؤاخذها على ذلك، واجداً فيه ألفة زائدة. لكنّ الملكة، في مثل هذه المناسبة الرّسميّة، لم يكن بإمكانها أن ترفض لصديقتها طلبها، فقالت لها:

– تقدّمي أيّتها السيّدة فأرون، تقدمي ولا تتردّدي. تعالي، فأنا أسمح لك بذلك، وذوقي من هذا الشّحم بقدر ما تشائين.

عندما سمعت السيّدة فأرون ما قالته الملكة، بدت سعيدة ومتطلّعة، فقفزت حتّى أصبحت قرب المطبخ وشرعت تمسك بقائمتيها الأماميتين شرائحَ الشّحم التي كانت تقدّمها لها الملكة تباعاً.

كانت السيّدة فأرون تأكل القطع المشويّة وهي تطلق أصوات لذّة، فجعلت تلك الأصوات، مع الرّائحة اللّذيذة التي كانت تنبعث من الشّحم المشويّ، أطفالَ السيّدة فأرون، السّبعة، ثمّ



أبوَيها فالمقرّبين منها، يقبلون متقافزين متطلّعين. كانوا جميعهم لئاماً لا يقيمون وزناً لأيٍّ كان، فانكبوا على الشّحم المشويّ يفترسونه، ممّا جعل الملكة، رغم كرمها المعروف، تنبّههم إلى أنّهم، إن واصلوا الأكل بتلك الطّريقة، فإنّه لن يبقى لها شيء تصنع به النّقانق. لكنّ أبناء السيّدة فأرون، ورغم وجاهة اعتراض الملكة، لم يعيروا كلامها أيّ اعتبار. كانوا يقدّمون مثالاً سيّئاً لأبويْهم ولأقربائهم، فواصلوا، رغم تنبيهات الملكة وتحذيرات أمّهم، أكلَ الشّحم المشويّ ممّا كان يُنذر بأنّهم سيأكلونه عن آخره. لذلك صرخت الملكة عندما لم تستطع طرد الفئران المزعجين، فهُرِعَت قهرمانة القصر[11] ونادت رئيس الطبّاخين الذي نادى بدوره القيّمين على الطّناجر، فأتى هؤلاء مسلّحين بالعصيّ والمراوح والمكانس، فاستطاعوا أن يجعلوا كلّ جمهرة الفئران تلك تختبئ تحت الموقد. لكن هذا

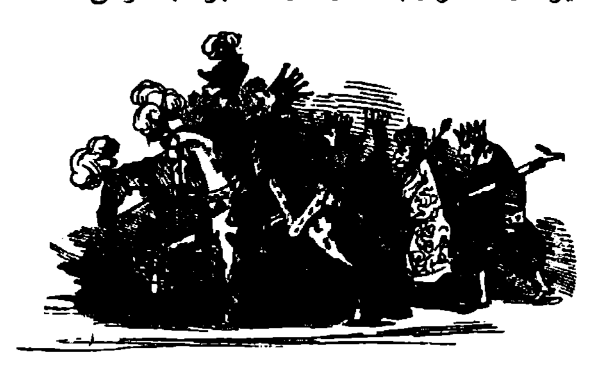


النّصر الذي بدا تامّاً، كان قد أتى متأخّراً؛ لم يكن قد بقي من الشّحم الذي كانت ستُعِدّ به الملكة أنواع النّقانق المعروفة، إلاّ الرُّبع. لذلك تمّ توزيع ما تبقّى منه، بطريقة علمية، على أنواع النّقانق المُعدّة في القِدر وفي الطّنجرتين الكبيرتين، اعتماداً على توجيهات عالمِ ريّاضياتِ الملك الذي تمّ البحث عنه، عندئذ،



على جناح السّرعة.

بعد نصف ساعة من وقوع ذلك الحدث، أصدى صوت المدفع وعلا صوت الأبواق والنّفير، فأتى الملوك والأمراء الملكيّون وحاملو رتبة الدّوق والطامحون إلى العرش الموجودون في البلد، وهم يرتدون أفخر ثيابهم. كان بعضهم يركب عربات من البلّور وكان آخرون يمتطون جيّاداً خاصّة بالاستعراض. أمّا الملك، فكان ينتظرهم على درج مدخل القصر، فاستقبلهم باحترام وبودّ كبيرين. بعد ذلك قادهم إلى غرفة الطّعام فجلس هو على رأس المائدة بوصفه السيّد والمالك، وهو يضع تاجه على رأسه ويحمل بيده صولجانه، فدعا الضيوفَ إلى أن يجلس كلٌّ واحد منهم في المكان الذي تؤهّله له رتبته من بين رتب الرّؤوس المتوّجة: الملوك والأمراء الملكيّون وحاملو رتبة الدوق والمطالبون بالعرش.



كانت المائدة معدّةً بطريقة باذخة، وكان كلّ شيء على ما يرام أثناء تناول الحساء والمقبّلات، لكن، وأثناء تقديم النّوع الأول من النّقانق، لاحظ الحاضرون أنّ الملك كان مضطرباً، وعندما قُدّم النّوع الثّاني بدا على وجهه امتقاع، أمّا عندما قُدّم، أخيراً، النّوع الثّالث، فقد رفع عينيه نحو السّماء وصدرت عنه تنهيدة، فبدا أنّ ألماً كبيراً كان يعتصر روحه. وأخيراً انقلب على ظهر الكرسيّ ووضع كفّيه على وجهه وبدأ يبكي ويتحسّر بطريقة تدعو للشّفقة، ممّا جعل جميع الحاضرين يسارعون نحوه مُبدياً كلّ واحد منهم قلقه عليه. كانت الأزمة تبدو عميقة بالفعل. شرع جرّاح القصر يبحث، سدىً، عن نبض الملك البائس، الذي كان يبدو رازحاً تحت تأثير كارثة عميقة وقبيحة، لم يسبق لأحد أن سمع بها من قبل. أخيراً، وقصدَ إعادته إلى وعيه، قُدّمت له أقوى الأدوية، من مثل الرّيشات المحروقة والأملاح الإنجليزية والمفاتيح الموضوعة على الظّهر، فبدا أنّ الملك قد بدأ يستعيد شيئاً فشيئاً وعيه، فأفرج عينيه، وتمتم بصوت مسموع بالكاد، قائلاً:

- شحم غير كاف!...

عندما تلفّظ بتلك الكلمات، أتى دور الملكة كي تمتقع بدورها. سارعت وجثت عند ركبتيه، وقالت بصوت متقطّع

من شدّة بكائها:

- آه يا زوجي الملكيّ الشقيّ والتعيس! أيّ ألمٍ تسبّبت لك به بعدم إنصاتي للتّحذيرات التي كنت تقدّمها لي باستمرار! لكن ها هي ذي المذنبة جاثية أمامك، وبإمكانك أن تعاقبها بالطّريقة التي تراها مناسبة.

- ما الذي يعنيه هذا؟ سأل الملك بعنف، وما الذي حصل وأخفيتموه عنّي؟

- يا للأسف! يا للأسف! أجابت الملكة التي لم يسبق لزوجها أن حدّثها بتلك الطّريقة العنيفة. يا للأسف! إنّ السيّدة فأرون، مع أبنائها السّبعة وأقاربها وأبناء عمومتها وحلفائها، هم الذين افترسوا كلّ الشّحم المشويّ!

لكنّ الملكة لم تستطع أن تقول أكثر من ذلك، فسقطت مغشيّاً عليها.

عندئذ نهض الملك غاضباً وصاح بصوت مرعب:

- ما الذي يعنيه كلّ هذا أيّتها السّيدة القهرمانة؟

فحكت القهرمانة ما كانت تعرفه؛ أي أنّها عندما سمعت صراخ الملكة سارعت إلى المطبخ فوجدت صاحبة الجلالة في أخذ وردّ مع عائلة السيّدة فأرون، فنادت بدورها رئيس الطبّاخين الذّي استطاع، بمساعدة أعوانه، أن يطرد النّاهبين

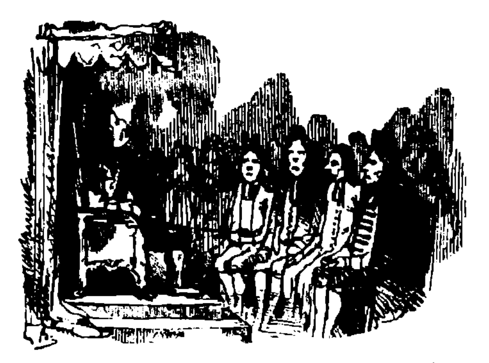


إلى أماكنهم تحت الموقد.

عندما سمع الملك ما قالته القهرمانة، قدّر أنّ الأمر يتعلّق بجريمة ارتُكبت في حقّ جلالته، فاستعاد هدوءه وأمر على الفور باجتماع عاجل لمجلسه، نظراً لخطورة الجُرم، وبأن تعرض القضيّة على أمهر مستشاريه.

اجتمع المجلس، إذن، فقرّر بغالبية الأصوات اعتبارَ السيّدة فأرون متّهمةً بأكل الشّحم الذي كان مخصّصاً لصنع أنواع النّقانق التي أمر بها الملك، وأنها ستحاكم، وفيما إذا اعتَبرتِ المحكمة السيّدة فأرون مذنبة، فإنها ستُنفى إلى الأبد من المملكة هي وكلّ جنسها، وأنّ كلّ أملاكها ستصادر، سواء أكانت أراضي أو قصوراً أو متاعاً أو إقامات ملكيّة.

غير أنّ الملك نبّه مجلسه الخاصّ ومستشاريه المَهَرة إلى أنّه سيكون للسيّدة فأرون ولعائلتها، طيلة المدّة التي ستستغرقها



المحاكمة، كلّ الوقت لأكل الشحّم، ممّا سيعرّضهم لإهانة مشابهة لتلك التي تعرّض لها هو أمام ستّة رؤوس متوّجة، فضلاً عن الأمراء الملكيّين وحاملي لقب الذّوق والطّامحين للعرش: كان الملك إذن يطالب بأن يُمنح سلطةً اعتباريّةً في تعامله مع السيّدة فأرون وعائلتها.

مثلما يمكن تخمينه، التجأ المجلس، شكليّاً، إلى التّصويت، فنال الملك السلطة الاعتباريّة التي كان قد طالب بها.

عندئذ، ولكي يحصل الملك على بُغيَته في أقرب وقت ممكن، أرسلَ عربة من أجود عرباته، بعد أن كان قد أرسل قبل ذاك رسولاً، إلى واحدٍ من الميكانيكيّين المهرة كان يقطن مدينة نومبيرغ، وكان يحمل اسم كريستيان إيلياس دروسلماير، يدعوه للمجيء حالاً إلى قصره، لأمرٍ لا يحتمل التّأجيل. استجاب كريستيان إيلياس دروسلماير على الفور، لأنّه كان

بالفعل رجلاً فنّاناً، وكان يعلم أنّ الملك ما أرسل في طلبه يستعجله إلاّ لأنه يريده أن يصنع له إحدى التّحف. لذلك سارع بركوب العربة وشرع يقودها ليلاً ونهاراً إلى أن وجد نفسه في حضرة الملك. كانت سرعة دروسلماير في الاستجابة لطلب الملك كبيرة إلى درجة أنّ الوقت لم يسعفه حتّى كي يغيّر ملابسه، فأتى مرتدياً بدلته «الرّودنْغوت» الصّفراء التي يرتديها خلال الأيام العاديّة. لكنّ الملك، عوض أن يغضب من هذا الإخلال بمراسِم البَلاط، أعرب عن امتنانه، على اعتبار أنّ دروسيلماير، إن كان قد ارتكب هذا الخطأ، فلكي يستجيب دون تأخّر لأوامره.

أدخل الملك كريستيان إيلياس دروسلماير إلى مكتبه وأخبره بسبب دعوته، وبأنّه قد قرّر أن يطهّر مملكته كلّها من جنس الفئران، وأنّه قد علم بشهرة دروسلماير فقرّر أن يعيّنه كي يكون منفّذ عدالته. كما أخبره بأنه يخشى شيئاً واحداً، وهو أن يكون الميكانيكيّ، رغم مهارته المعروفة، يرى أنّ هناك صعوبات لا يمكن تجاوزها قد تقف في وجه هذا المشروع الناتج عن غضب الملك.

لكنّ كريستيان إيلياس دروسلماير طمأن الملك، ووعده بأنّه في غضون ثمانية أيّام لن يبقى في مملكته فأر واحد.



وبالفعل، فقد شرع كريستيان إيلياس دروسلماير، خلال اليوم نفسه، يصنع علباً صغيرة مستطيلة جميلة، ربط بداخلها، على قمّة سلك حديديّ، قطعة من الشّحم. وهكذا فعندما يسحب فأرٌ قطعة الشّحم يسقط الباب خلفه، فيجد نفسه حبيساً داخل العلبة. وفي أقلّ من أسبوع، كان قد صنع مائة علبة أخرى مماثلة، فوضعت ليس فقط قرب الموقد، وإنّما أيضاً في كلّ مخازن القصر وكلّ دهاليزه.



كانت السيّدة فأرون من الحكمة ومن النّباهة، بحيث اكتشفت حيلة المعلّم دروسلماير من أوّل نظرة. عندئذ جمعت أبناءها السّبعة وأحفادها وأبناء عمومتها كي تحذّرهم من الفخاخ التي نُصبت لهم. لكنّ تلك الفئران أعطت، في البداية، الانطباع بأنّها كانت تُنصت لما تقوله السيّدة فأرون، بسبب الاحترام الواجب نحوها والوقار الذي يوحي به سنّها. لكنّها انسحبت، بعد ذلك، وهي تهزأ ممّا سمعت، فجلبتها رائحة الشّحم بقوّة تفوق قوّة النّصائح التي قُدّمت لها لتوّها، وقرّرت أن تستمتع بتلك النّعمة التي أقبلت نحوها دون حتّى أن تعرف مصدرها.

بعد انقضاء أربع وعشرين ساعة، كانت الفخاخ قد انطبقت على أبناء السيّدة فأرون السّبعة وعلى ثمانية عشر من أحفادها وخمسين من أبناء عمومتها ومائة وخمسة وثلاثين من أقاربها الأقربين والأبعدين، فضلاً عن الآلاف من رعاياها، فتمّ قتل الجميع بطريقة مُهينة.

آنئذٍ قرّرت السيّدة فأرون، مع ما بقي من بلاطها ورعيّتها، أن تغادر ذلك المكان الذي سالت فيه دماء عائلتها وأقاربها. انتشر قرار السيّدة فأرون هذا في المملكة كلّها ووصل إلى الملك الذي شرع يهنّئ نفسه بصوت عالٍ، ممّا حدا بالشّعراء



إلى الشّروع في نظم قصائد تتغنّى بنصره، بينما شرع مجالسوه يقارنونه بالأباطرة سيزوستريس والإسكندر والقيصر.

وحدها الملكة ظلّت حزينة وقلقة؛ فهي كانت تعرف السيّدة فأرون معرفة جيّدة، وكانت متأكّدة من أنّها لن تتخلّف عن الانتقام لأبنائها وأقاربها. وبالفعل، ففي الوقت الذي كانت الملكة تعدّ فيه للملك، كي تكفّر عن الخطأ الذي ارتكبته في حقه، وجبةَ هريسة اِلكبد التي كان يحبّها جدّاً، برزت السيّدة فأرون أمامها فجأة وخاطبتها قائلة:

دون خشيةٍ أو تبكيتٍ للضّمير،
قتلَ زوجُكِ أبنائي وأبناءَ إخوتي وأبناءَ عمومتي؛
لكن ارتعشي أيّتها السّيدة الملكة!
فالطّفل الذي تحملينه اليوم في رحمك،

والذي سيكون قريباً محفوفاً بحبّك،
سيكون مشمولاً سلفاً بكراهيتي.
لزوجك حصونٌ ومدافعُ وجنود،
وميكانيكيّون ومستشارون
ووزراءُ وفخاخُ فئران.
ليس للسّيدة فأرونَ شيءٌ من ذلك،
لكنّ السّماء وهبتها هذه الأسنان التي ترينها
هنا،
كي تفترس الوريثات.

ثمّ اختفت ولم يرَها أحد بعد ذلك. لكنّ الملكة التي لاحظت، بالفعل، أنّها حاملٌ منذ بضعة أيّام، أُرهبَت من تلك النبوءة، حتّى لقد تركت هريسة الكبد تسقط من يدها في النّار.

وبذلك تكون السيّدة فأرون قد حرمت الملك، للمرّة الثّانية، من إحدى وجباته المفضّلة، ممّا جعله يغضب غضباً شديداً، ثمّ شرع يصفّق بكفّيه أكثر فأكثر احتفالاً بذلك التقويض لسطوة السيّدة فأرون وأبنائها، الذي كان هو قد أنجزه بطريقة متقنة.

ومن النّافل القولُ إنّ كريستيان إيلياس دروسلماير قد أعيد إلى مدينته مصحوباً بهديّة عظيمة، فدخل نومبيرغ دخول الأبطال.



2 - *كيف استطاعت السيّدة فأرون، رغم كلّ الاحتياطات التي اتّخذتها الملكة، أن تصل إلى المكان الذي كانت توجد فيه الأميرة بيرليبات*

أنتما الآن، يا طفليّ العزيزين، تعرفان مثلي لماذا كانت الملكة تحرس بكلّ تلك العناية الأميرةَ الصّغيرة بيرليبات المُعجزة: هي كانت تخشى انتقام السيّدة فأرون التي أكّدت أنّها ستنتقم من وارثة المملكة الصّغيرة السّعيدة، وأنّها إن لم تجعلها تفقد

حياتها، فإنّها ستعمل على الأقل على جعلها تفقد جمالها، وهو ما يُعدّ، بالتّأكيد، أفدح بالنسبة لامرأة. وما كان يضاعف قلق الأمّ العطوف هو أنّ آلات المعلّم دروسلماير لم يكن بإمكانها أن تقف في وجه تجربة السيّدة فأرون. لذلك فإنّ فلكيّ القصر، الذي كان يشغل في الوقت نفسه وظيفة العرّاف والمنجّم، ومَخَافة أن تُعتبر مهمّتُه عديمة الجدوى إن لم يقدّم أيّ رأي في هذه المسألة، ادّعى أنّه قد قرأ في النّجوم، وبطريقة لا تحتمل الخطأ، أنّ عائلة القطّ الشّهير المسمّى «مور»، هي الوحيدة القادرة على الدّفاع عن المهد ومنع السيّدة فأرون من الاقتراب منه. ومن أجل ذلك كانت كلّ واحدة من الحارسات السّت مرغمةً على أن تضع على ركبتيها، باستمرار، أحد القطط الذّكور المنتمية إلى تلك العائلة، والتي كانت ترتبط، بدورها، بالقصر بوصفها سكرتيرات مفوّضة. كما أن أولئك الحارسات كنّ ملزمات بأن يقمن بحكّ ظهور تلك القطط بلطف ودون انقطاع، حتّى يهوّنّ عليها مشقّة المهمّة التي تؤدّيها من أجل الدّولة.

لكن، وكما تعلمان يا طفليّ العزيزين، فإنّ ثمّة أيّاماً يحصل لنا خلالها أن نكون يقظين ونحن نيام. وهكذا، ذات مساء، ورغم المجهودات التي كانت تبذلها الحارسات السّت في

الغرفة، حاملةً كلّ واحدة منهنّ على ركبتيها قطّاً، ورغم يقظة الحارستين المقرّبتين اللّتين تجلسان عند قدَمي الأميرة، فإنّهن جميعاً قد شعرن بأنّ النّوم أخذ يسيطر عليهنّ بالتّدريج. لكنْ، وبما أنّ كلّ واحدة منهنّ لم تكشف عمّا تشعر به، محاذِرةً من أن تخبر به رفيقاتها، آملةً في ألاّ تنتبه الأخريات إلى فتور انتباهها، فيقمنَ بالحراسة بدلاً منها، عندما تكون هي نائمة،



فإنّ النّتيجة كانت هي أنْ بدأت العيون تنطبق تباعاً، وكفّت الأكفّ عن حكّ ظهور القطط، فاغتنمت هذه الأخيرة الفرصة كي تغفو قليلاً.

نحن لا يمكننا أن نحدّد الوقت الذي استغرقه هذا النّوم الغريب. لكن، وعند منتصف اللّيل، استيقظت إحدى

الحارسات المقرّبات منتفضة. كانت كلّ الحارسات حولها غارقات في سبات عميق، لا يصدر عنهنّ شخير، بل حتّى أنفاسهنّ كانت تبدو منقطعة. كان يسود الغرفةَ كلّها صمت شبيه بصمت الموتى، فلم يكن يُسمع، وسط كلّ ذلك، سوى صوت الدود وهو ينقر الخشب. لكن ما الذي فعلته تلك الحارسة المقرّبة وهي ترى قريباً منها فأرة ضخمة وبشعة، واقفة على قائمتيها الخلفيّتين، وقد أَغطست رأسها في مهد بيرليبات، وهي تبدو مستغرقة تماماً في قضم وجه الأميرة؟ انتفضت واقفة وهي تُصدر صرخةَ رعبٍ عاليةً استيقظ، من جرّائها، الجميع. لكن السيّدة فأرون - لأنّ الأمر يتعلّق بالفعل بها - انطلقت جاريّة في اتّجاه زاوية من الغرفة. عندئذ عدَت وراءها القطط الحارسة المفوّضة، لكن، وللأسف، فقد كان الوقت متأخّراً: كانت السيّدة فأرون قد اختفت عبرَ شقّ في الأرضية. في تلك اللّحظة، شرعت الأميرة بيرليبات تبكي، وقد أيقظها ما عمّ الغرفة من جلبة، فكان ردّ فعل الحارسات المقرّبات والسّت الأخريات أنْ أبدين ابتهاجهنّ.

- الحمد لله، قلْنَ، فما دامت الأميرة بيرليبات تصرخ، فهي ما تزال على قيد الحياة.

حينئذ سارعنَ نحو المهد، لكن خيبتهنّ كانت عظيمة



عندما رأين تلك الحالة التي أصبحت عليها الأميرة الرقيقة والفاتنة!

وبالفعل، فبدلَ ذلك الوجه الأبيض والوردي، وذلك الرّأس ذي الشّعر الذّهبيّ، وتلك العينين الزرقاوين وكأنهما مرآة للسماء، كان قد استُنبت رأس ضخم ومشوّه على جسد متحوّل ومتغضّن. كانت العينان الجميلتان قد فقدتا لونهما السّماويّ، فذبلتا إلى أن أصبحتا خضراوين، ثابتتين وزائغتين. أمّا فمها الصّغير فكان قد أصبح ممتدّاً من أذن إلى أخرى، وكان ذقنها قد أضحى مغشّى بلحية من قطن مجعّد، يغبطها عليها أيُّ مهرّج عجوز، لكنّها تحيل الأميرات الشّابات ذوات مظهر دميم.

في تلك اللّحظة دخلت الملكة الغرفة، فألقت الحارسات السّت العاديات، والحارستان المقرّبتان بأنفسهنّ، وجوههنّ



إلى الأرض، بينما كان المستشارون المفوّضون السّتّة، أيْ القطط السّتة، ينظرون إن كانت ثمّة نوافذ يفرّون منها إلى السّطوح.

كانت خيبة الأمّ كبيرة وفظيعة، فحُمِلَتْ، مغشيّاً عليها، إلى غرفتها الملكيّة.

لكنّ الأب التعيس، بالخصوص، كان ألمه الكئيب والعميق قد جعله في حالة يرثى لها. لذلك سارعوا إلى إغلاق النّوافذ بالأقفال حتّى لا يقفز منها، كما أنّهم عملوا على تبطين جدران غرفته حتّى لا يكسر رأسه وهو يضربه بها. ولستُ في حاجة لأن أقول إنّهم قد جرّدوه من سيفه، وأبعدوا من أمامه السّكاكين والشّوكات وكلّ الأدوات القاطعة والمدبّبة. كان ألمه من الشّدة بحيث لم يتناول طعامه خلال اليومين أو الثلاثة أيّام الأولى، وهو لا يكفّ عن ترديد:

- يا لي من ملك تعيس! يا لكَ من مصير قاسٍ!

وربّما كان على الملك، عوضَ أن يتّهم القدر، أن يفكّر بأنّه كان، مثلما يكون النّاس جميعاً في العادة، هو المسؤول عن شقائه؛ ذلك أنّه لو كان أكل نقانقه دون أن يعير اهتماماً للشّحم القليل الذي تحتويه، وأنّه، لو كان قد تخلّى عن الرّغبة في الانتقام، لكان ترك السيّدة فأرون تحت الموقد، ولما كان هذا الشرّ الذي يندب هو حظّه منه الآن قد حصل. لكن علينا أن نقول أيضاً إنّ الملك، أبا بيرليبات، لم تكن أفكاره تهتمّ أبداً بهذا المنحى الفلسفيّ للأمور؛ بل على العكس، وما دام الأقوياء يُنحون دائماً باللاّئمة، في ما يصيبهم من كوارث، على الأضعف منهم، فإنّ الملك قد اعتبر كريستيان إلياس دروسلماير، الميكانيكيّ الماهر، هو المخطئ. وعندما قدَّرَ أنّ دروسلماير سيحتاط من المجيء إنْ هوَ طلبَ منه القدوم كي يشنقه أو كي يقطع رأسه، فإنّه وجّه إليه الدّعوة كي يأتي ليتسلّم وساماً جديداً استحدثه صاحبُ الجلالة من أجل رجال الأدب والفنّانين والميكانيكيّين.

لم يكن دروسلماير مبرّأً من الغرور، لذلك فكّر بأنّ شريطاً موضوعاً على بذلته «الرّودنغوت» الصّفراء سيكون أمراً جيّداً، فانطلق على الفور. لكن سرعان ما انقلب فرحه إلى رعب عندما وجد في انتظاره، على الحدود، حرساً ألقوا

القبض عليه وشرعوا ينقلونه من فرقة عسكريّة إلى أخرى، حتّى وصل إلى العاصمة.

رفض الملك، الذي كان يخشى بالتّأكيد أن يَلِين أمام دروسلماير، أن يستقبله عندما وصل إلى القصر. لكنّه جعل حرّاسه يقودونه على الفور إلى جانب مهد بيرليبات، فأوحوا للميكانيكيّ بأنّه إن لم يستطع، من يومه ذاك إلى أجلٍ أقصاه نهاية الشهر، أن يُعيد الأميرة إلى حالتها الطّبيعيّة، فإنّ الملك سيقطع رأسه دون شفقة.

لم يكن للمعلّم دروسلماير أيّ نزوع إلى البطولة، كما أنّه لم يفكّر يوماً في أن يموت إلاّ بالطريقة العاديّة التي يموت بها الناس كافّة، ولذا فقد ارتعب من التّهديد. غير أنّه سرعان ما عاد ليضع الثّقة في علمه الذي لم يمنعه تواضُعه الشّخصيّ من أن يعتبر نفسه متفوّقاً فيه، فاطمأنّ بعض الشّيء. بعد ذلك وجّه انتباهه للعمليّة الأولى والأنجع، تلك المتمثّلة في التّأكّد ممّا إذا كان ممكناً إخضاعُ ما أصيبت به الأميرة إلى أيّ علاج من العلاجات المعتادة، أم أنّ علاجها متعذّر كما بدا له الأمر لأوّل وهلة.

عندئذ فكّك بمهارة عالية رأسَ الأميرة بيرليبات، ثمّ أعضاءها الواحد تلو الآخر؛ إذْ فكّك رجليها ثمّ يديها كي



يفحص على مهلٍ، ليس فقط المفاصل والنوابض، وإنّما أيضاً البناء الدّاخليّ. لكن، وللأسف، كلّما كان يتغلغل في لغز تكوين الفتاة الصغيرة، كان يكتشف، بما لا يدع مجالاً للشك، أنّ الأميرة كلّما تقدّمت في السّن ستغدو أكثر دمامةً وتشوّهاً. عندئذ أعاد بعناية تركيب أعضاء بيرليبات وتوجّه قرب مهدها الذي كان عليه أن يظلّ بجانبه إلى أن تستعيد الأميرة



شكلها الأوّل، فظلّ رابضاً هناك، لا يعرف ما الذي عليه أن يفعله، وقد استولت عليه مشاعر سوداويّة عميقة.

عندما بدأ الأسبوع الرّابع، وأقبل يوم الأربعاء منه، دخل الملك، بحكم العادة، كي يرى إن كان قد حصل تغيير على الأميرة. وعندما لاحظ أنّها ما تزال دائماً على حالها، صاح مهدّداً الميكانيكيّ بصولجانه:

- حذارِ يا كريستيان إلياس دروسلماير! ليس أمامك سوى ثلاثة أيّام كي ترجع ابنتي إلى حالتها العاديّة، وإنْ واصلْت عنادك ولم تشفِها، فإنّني سأقطع رأسك يوم الأحد.

شرع المعلّم دروسلماير يبكي بمرارة، غير قادر على علاج الأميرة، ليس بسبب العناد، كما قال الملك، وإنّما لأنّه عاجز عن ذلك. وبعد لحظة، رأى بعينيه السّابحتين في الدموع، الأميرة بيرليبات وهي تقضم بندقةً، بادياً عليها الفرحُ وكأنّها



أجمل فتاة في الدّنيا. عندما رأى الميكانيكيّ ذلك المنظر المؤثّر، صُدم، لأوّل مرّة، من هذا الميل الخاصّ الذي كانت تبديه الأميرة إلى البندق، منذ ولادتها، ومن تلك الظّروف التي جعلتها تولد بأسنان. كانت الأميرة، بالفعل، ومنذ طرأ عليها التّحوّل الذي تحدّثنا عنه، قد شرعت تصرخ إلى أن وجدت تحت كفّها بندقةً فكسرتها وأكلت النّواة ونامت مطمئنّة. منذ تلك اللّحظة، كانت الحارستان المقرّبتان قد شرعتا بملء جيوبهما بالبندق، فتقدّمان لها منه حبّة أو حبّات كثيرة، كلّما رأتاها مقطَّبة الوجه.

- آه يا غريزة الطّبيعة! آه أيّتها المشارَكة الوجدانيّة الأبديّة المحصّنة والكامنة في كلّ الكائنات المخلوقة!، صاح كريستيان ألياس دروسلماير. أنتِ تدلّينني الآن على الطريق الذي سيقودني إلى اكتشاف ألْغَازك. وأنا سأطرق هذا الباب وسينفتح لي!

بعدما تلفّظ دروسلماير بتلك الكلمات التي أدهشت الملك، التفتَ وطلب من صاحب الجلالة أن يتكرّم بقيادته إلى فلكيِّ القصر. وافق الملك على طلبه، لكنّه اشترط أن يذهب الميكانيكيّ محاطاً بالحرس. كان المعلّم دروسلماير يودّ بالتأكيد أن يقطع تلك المسافة بمفرده، لكنّه لم يكن له، في تلك

الظّروف، أيّ خيار، لذلك، كان عليه أن يحتمل ما لا قدرة له على رفضه، وأن يقطع أزقّة العاصمة محاطاً بالحرس وكأنّه مجرم.

عندما وصل المعلّم دروسلماير إلى بيت الفلكيّ، ارتمى بين ذراعيه، فشرعا يتبادلان سيلاً من القبل وهما يبكيان، إذ كانا صديقين منذ زمن طويل، وكانت تجمعهما محبّة قويّة. بعد ذلك انصرفا إلى مكتب معزول وشرعا يتصفّحان معاً أعداداً لا تحصى من الكتب التي تتحدّث عن الغريزة وعن المشاركة الوجدانية وعن تنافر الغرائز، وعن أمور أخرى كثيرة لا تقلّ إِلْغازاً. وعندما حلّ اللّيل، صعد الفلكيّ إلى برجه، فاكتشف، رغم عائق الخطوط التي كانت تتداخل فيما بينها باستمرار، وبمساعدة المعلّم دروسلماير الذي كان بدوره ماهراً في مثل



هذه الأمور، أنّه لا توجد سوى طريقة واحدة لإبطال السّحر الذي أصبحت الأميرة بسببه دميمة، ولكي تصبح جميلة كما كانت أوّل مرّة: عليها أن تأكل نواة البندقة كراكاتوك التي كانت قشرتها من الصّلابة بحيث كان بإمكان عجلةِ مدفعٍ من عيار الأربعة والعشرين أن تدهسها دون أن تقوى على كسرها. وأكثر من ذلك، يجب أن تُكسر تلك البندقة بحضور الأميرة وبواسطة أسنان شابّ لم يسبق له أن حلق ذقنه ولم يسبق له أن ارتدى إلاّ جزمة. كما يجب، أخيراً، أن يقدّم هذا الشّاب النّواة إلى الأميرة، وعيناه مسدودتان، ويكون عليه بعد ذلك أن يقوم بسبع خطوات إلى الخلف، وعيناه مسدودتان دائماً، ودون أن يترنّح. كان ذلك هو جواب النّجوم.

اشتغل دروسلماير والفلكيّ، بلا كلل، خلال ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ، كي يستوضحا تلك القضيّة الملغزة. كان مساء السّبت قد حلّ، وكان الملك يتناول عشاءه، وربّما كان قد وصل إلى لحظة أكل الفاكهة، عندما دخل الميكانيكيّ غرفة الطعام الملكية. كان من المفروض أن يقطع رأسه صباح يوم غد الأحد. لكنّه دخل الغرفة فرحاً ومبتهجاً، معلناً أنّه قد استطاع أخيراً أن يعثر على الوسيلة التي سيستطيع بفضلها أن يعيد للأميرة بيرلييات جمالها الضّائع. عندما سمع الملك هذا



الخبر احتضنه بعطف ظاهر، ثم سأله عمّا تكون تلك الوسيلة.

عندئذ أخبر الميكانيكيّ الملك بنتيجة تشاوره مع الفلكيّ.

- أنا كنت على علم، أيّها المعلّم دروسلماير، صاح الملك، بأنّك ما كنت تتخلّف عن القيّام بالأمر إلاّ عناداً. أمّا الآن، فقد أصبحت الأمور تسير في الاتجاه الصّحيح، وفورَ فراغنا من العشاء، سنبدأ في العمل. اعملْ، أيّها الميكانيكيّ العزيز، بعد عشر دقائق، على أن يكون الشابّ الذي لم يسبق له أن حلقَ ذقنه، والذي يلبس جزمته، وهو يحمل البندقة كراكاتوك في كفّه، حاضراً بيننا هنا. واعملْ بالخصوص، إلى حين وصول تلك اللّحظة، على ألاّ يتناول شراباً حتّى لا يشرع في التّرنّح وهو يتقهقر، مثل سرطان بحر، سبع خطوات إلى الوراء.

لكنْ أخبره بأنّني سأضع كلّ ما في قصري من أطيابٍ، بعد أن ينهي عمليّته، تحت أمره كي يأكل ويتنعّم كما يحلو له.

لكن، وأمام اندهاش الملك، بدا المعلّم دروسلماير محتاراً وهو يستمع إلى ما يقوله صاحب الجلالة. وبما أنّه ظلّ صامتاً، فإنّ الملك بدأ يُلحّ عليه كي يعرف لماذا يظلّ صامتاً وثابتاً في مكانه، عوضَ أن يشرع في تنفيذ أوامره الملكيّة. لكن الميكانيكيّ قال وهو جاثٍ على ركبتيه:



- سيّدي، صحيح أنّنا قد عثرنا على طريقة علاج الأميرة، وصحيح أيضاً أنّ هذه الطّريقة تقتضي أن نجعلها تأكل نواة البندقة كراكاتوك، بعد أن يكسرها شابّ لم يسبق له أن حلق ذقنه، ويلبس جزمة منذ أن ولد، لكنّنا الآن لا نملك

لا الشّاب ولا البندقة، كما أنّنا لا نعرف أين يمكننا أن نعثر عليهما. وعلى ما يبدو، فإنّنا لن نعثر إلاّ بصعوبة بالغة على البندقة وعلى كسّارتها.

عندما سمع الملك هذه الكلمات تملّكه غضب شديد، فرفع صولجانه فوق رأس الميكانيكيّ وهو يصيح:

- إذن، ليكن مصيرك هو الموت.

لكنّ الملكة، من جانبها، تقدّمت وجثت قريباً من دروسلماير، ونبّهت زوجها المبجّل إلى أنّه إن قطع رأس الميكانيكيّ، فإنّهم سيفقدون حتّى ذلك الأمل الضّئيل الذي يبقى لهم عندما يكون الميكانيكيّ على قيد الحياة، وأنّ كلّ الاحتمالات تدلّ على أنّ من يجيد التّنجيم سيعثر على البندقة وعلى كسّارتها، وأنّ عليهم، نتيجة لذلك، أن يثقوا في ما تنبّأ به هذا المنجّم الذي لم يتحقّق حتّى الآن أيٌّ من تنبؤاته، غير أنّ من المفروض أن تتحقّق في يوم من الأيّام، ما دام الملك، الذي لا يمكن أن يخطئ، هو الذي عيّنه عرّافاً للقصر، وأخيراً أنّ الأميرة بيرليبات، التي لا يكاد عمرها يبلغ ثلاثة أشهر، ليست البتّة في سنّ الزواج، وأنّ من المحتمل ألاّ تكون جاهزة للزّواج إلاّ عندما تكون في الخامسة عشرة من عمرها، ممّا يعني بالنتيجة، أنّ دروسلماير وصديقه المنجّم أمامهما أربعة عشر

عاماً وتسعة أشهر للبحث عن البندقة كراكاتوك وعن الشّاب الذي من المفروض أن يكسرها؛ ممّا يعني أيضاً أنّ بالإمكان منح كريستيان إلياس دروسلماير مهلة يأتي في نهايتها كي يضع نفسه رهن إشارة الملك، سواء أكان قد حصل على هذا الدّواء المزدوج قصد علاج الأميرة، أم لم يحصل عليه. وهكذا سيكون جزاؤه إن لم يحصل عليه قطعَ رأسه دون رحمة، أمّا إن حصل عليه، فإنه سينال مكافأة سخيّة.

كان الملك معروفاً بعدله، كما أنّه كان، يومئذ، قد تناول في عشائه وجبتيْه المفضّلتين؛ أي صحناً من النّقانق وآخر من هريسة الكبد؛ لذلك استمع بانتباه إلى توسّل زوجته الحسّاسة وذات المروءة، فقرّر أن يبدأ الميكانيكيّ والمنجّم على الفور بحثهما عن البندقة وعن كسّارةٍ لها؛ وهو البحث الذي منحهما، للقيام به، أربعة عشر عاماً وتسعة أشهر، لكن شريطة أن يعودا، بعد نفاد مدّة المهلة، كي يضعا نفسيهما رهن إشارته، ليصنع بهما ما يشاء، إن حصل وعادا بأيديهما فارغة.

أمّا إن عادا بالبندقة كراكاتوك، التي من المفروض أن تعيد للأميرة بيرليبات جمالها الأوّل، فإن المنجّم سيحصل على معاشٍ طيلة حياته وعشرة آلافٍ من نقد «التّالير» ونظّارةً شرفيّة، ويحصل الميكانيكيّ على سيف من الياقوت ووسام

العنكبوت الذّهبيّ، الذي يعد أسمى وسام تقدّمه الدّولة، فضلاً عن بذلة «رودنغوت» جديدة.

أمّا بالنسبة للشّاب الذي من المفروض أن يكسر البندقة كراكاتوك، فإنّ الملك كان أقل قلقاً في شأنه؛ إذْ كان يفترض أنّه سيكون بالإمكان العثور عليه عن طريق إدراج نداء متكرّر في جرائد البلد وجرائد البلاد الخارجية.

عندما سمع كريستاين إلياس دروسلماير هذا الكلام الدّال على الشّهامة، والذي يخفّض صعوبة المهمّة إلى النّصف، التزم بأن يعثر على البندقة كراكاتوك، وإلاّ فإنه سيعود، كما فعل، من قديمٍ، المحارب الرّومانيّ ريغولوس، ليسلّم نفسه للملك.

وفي تلك الأمسية نفسها، غادر الميكانيكيّ والمنجّم القصر، كي يبدآ بحثهما.





3 - كيف اجتازَ الميكانيكيّ والمنجّم جهات العالم الأربع، وكيف اكتشفا جهة خامسة، دون أن يعثرا على البندقة كراكاتوك

انقضى أربعة عشر عاماً وخمسة أشهر على تيه المنجّم والميكانيكيّ في كلّ طرقات الأرض دون أن يستطيعا العثور ولو على أثرٍ واحد لما يبحثان عنه. كانا قد قاما، في البداية، بزيارة أوروبا، ثمّ زارا أمريكا، فأفريقيا، فآسيا؛ بل كانا قد اكتشفا، بعد ذلك، جهة خامسة من العالم، سمّاها العلماء هولندا الجديدة، لأنّ ألمانيّين هما اللّذان اكتشفاها. ورغم

أنّهما قد شاهدا، في تجوالهما ذاك، العديد من البندق المختلف في شكله وفي حجمه، فإنّهما لم يعثرا على البندقة كراكاتوك. كانا يطارِدان أملاً خادعاً للأسف، فقضيا سنوات في قصر ملك التّمور وفي قصر أمير اللوز، كما أنّهما كانا قد استشارا سدىً أكاديميّة القرود الخضراء الشّهيرة، والتّجمع الطّبيعيّ الشّهير للسّناجب، لكنّهما انتهيا بأن سقطا منهكيْن من شدّة التّعب على أطراف الغابة الكبرى التي تقع على أقدام جبال الهيملايا، وهما يردّدان بيأس أنّه لم يبق أمامهما سوى مائة واثنين وعشرين يوماً كي يعثرا على ما بحثا عنه سدىً طيلة أربعة عشر عاماً وخمسة أشهر.

ولو أردت، يا طفليّ العزيزين، أن أحكي لكما المغامرات الخارقة التي مرّ بها المسافران طيلة مدّة سفرهما، لَلَزِمَني أنا أيضاً أن أجتمع بكما طيلة شهرٍ كاملٍ على الأقل، وهو ما سيؤدّي بالتّأكيد إلى أن تشعرا بالملل. لذلك أكتفي بأن أقول لكما إنّ كريستيان إيلياس دروسلماير هو الذي كان أكثر تفانياً في البحث عن البندقة الشهيرة، لأن بقاءه على قيد الحياة كان مرهوناً بعثوره عليها. وبسببٍ من ذلك بذل مجهودات مضنيّة وعرّض حياته للخطر أكثر من رفيقه، فَفَقَدَ كلّ شعره بسبب ضربة شمس أصابته عندما كان في الإكوادور، كما فقد عينه

اليمنى جرّاء إصابته بسهم أطلقه عليه أحد زعماء الكراييب.
هذا فضلاً عن أنّ بدلته «الرودنغوت» الصّفراء التي كانت قد أصبحت سلفاً بالية عندما غادر ألمانيا، كانت قد أضحت حينئذ مجرّد أسمال. كانت حاله إذن تدعو للرّثاء. لكنّه، وبسبب حبّ الإنسان عامّةً للحياة، ورغم أنّ حاله أصبحت تتدهور باستمرار بسبب المصائب المتوالية التي أصابته، فإنّه كان يفكّر، برعب متزايد، في اللّحظة التي سيتوجّه فيها إلى قصر الملك كي يضع نفسه رهن إشارته.

غير أنّ الميكانيكيّ كان رجلاً يحترم كلمته، فلم يفكّر للحظة واحدة في المجادلة في الوعد المهيب الذي كان قد قطعه على نفسه. لذلك قرّر أن ينطلق في اليوم التالي نحو ألمانيا، مهما تكن النّتيجة. وبالفعل، فلم يكن ثمّة من وقت يُضيعانه، فأربعة عشر عاماً انقضت ولم يعد أمام المسافريْن سوى مائة واثنين وعشرين يوماً، كما سبق لنا أن قلنا، كي يلتحقا بعاصمة أبي الأميرة بيرليبات.

عندئذ أخبر كريستيان إيلياس دروسلماير المنجّم بقراره، فاتّفقا معاً على العودة صباح اليوم التالي.

وبالفعل، فقد انطلقا صباح الغد، عند بزوغ أولى خيوط النّهار، فتوجّها إلى بغداد، ومن بغداد التحقا بالإسكندرية،

ومنها ركبا البحر نحو البندقيّة، ومن البندقيّة توجّها إلى تيرول في بلاد النّمسا، ومن تيرول نزلا إلى مملكة أبي الأميرة بيرليبات، وهما يأملان، من صميم قلبيهما، أن يكون الملك قد مات، أو على الأقلّ أن يكون قد أُصيب بالخرَف.

لكنّ شيئاً من ذلك، للأسف، لم يحصل. فعندما وصلا إلى العاصمة، علمَ الميكانيكيّ الشّقيّ أنّ الملك المحترم لا فحسبُ لم يفقد أيّاً من قدراته الذّهنية، وإنّما، أكثر من ذلك، أصبحت صحّته أحسن من ذي قبل. لم يعد له إذن أيّ حظ في النّجاة، اللّهم إلاّ أن تكون الأميرة بيرليبات قد شفيت من تلقاء نفسها من دمامتها، وهو أمر غير ممكن، أو أن يكون قلب الملك قد لانَ تجاهه، وهو أيضاً أمر غير محتمل، ممّا يعني أنّه سيجد نفسه وجهاً لوجه مع المصير المرعب الذي ينتظره.

لم يتأخّر كريستيان إيلياس دروسلماير في التوجّه إلى القصر، لأنّه كان مدفوعاً بفكرة أنّه يقوم بعمل بطوليّ، فطلب لقاء الملك.

كان باب مكتب الملك مفتوحاً أمام الجميع، إذْ كان يستقبل كلّ من له أمر يريد محادثته فيه، لذلك طلب من حاجبه أن يُدخل الغريبَين.

عندئذ قال الحاجب الأعظم للملك إنّ مظهر الرّجلين

غريب، وإنّ ملابسهما رثّة للغاية. لكنّ الملك أجاب بأنّ علينا ألاّ نحكم على القلب تبعاً للمظهر، وبأنّ الرّاهب لا يكون راهباً بملابسه.

عندما اقتنعَ الحاجب الأعظم بصواب المثلين اللّذين استشهد بهما الملك للتوّ، انحنى باحترام وذهب كي يُدخل الميكانيكيّ والمنجّم.

لم يكن قد طرأ على الملك أيّ تغيير، فتعرّفا عليه من أوّل نظرة. لكنّهما، من جانبهما، كانا قد تغيّرا كثيراً، وبالخصوص المسكين كريستيان إلياس دروسلماير، الذي وجد نفسه مضطرّاً للتّعريف بنفسه.

عندما رأى الملك أنّ الرّجلين قد عادا من تلقاء نفسهما، أبدى حركة ابتهاج، لأنّ من المفروض أنّهما ما كانا ليعودا لو لم يكونا قد عثرا على البندقة كراكاتوك. لكنّه سرعان ما علم بالخبر اليقين، إذ اعترف له الميكانيكيّ، وهو يرتمي على قدميه، بأنّهما رغم المجهودات الكبيرة والمتواصلة التي بذلاها، هو والمنجّم، فإنهما قد عادا بخفّي حُنين.

رغم أنّ الملك كان سريع الغضب، فإنّه كان، في أعماقه، رجلاً طيّباً. لذلك تأثّر غاية التّأثر باحترام كريستيان إلياس دروسلماير لكلمته، فحوّل الحكم عليه بالإعدام إلى حكم

بالسجن المؤبّد. أمّا بالنّسبة للمنجّم فقد اكتفى بنفيه.

لكن، وبما أنّ ثلاثة أيّام كانت تفصل المعلّم دروسلماير عن المهلة التي كان الملك قد أعطاها له، وهي أربعة عشر عاماً وتسعة أشهر، فإنّه قد طلب من الملك، نظراً لما يحمله بين جوانحه من حبّ لوطنه، أن يسمح له، خلال تلك الأيّام الثّلاثه، بأن يرى للمرّة الأخيرة مدينته نومبيرغ.

بدا هذا الطّلب معقولاً للملك، لذلك وافق عليه دون أن يُبدي أيّ اعتراض.

وبما أنّ الوقت كان ضيّقاً أمام المعلّم دروسلماير، فإنّه قد قرّر ألاّ يُضيع منه شيئاً؛ لذلك انصرف فوراً، بعد أن أسعفه الحظّ في العثور على مكان شاغر في عربة نقل البريد.

والحال أنّ المنجّم الذي كان محكوماً عليه بالمنفى قرّر أن يصحب المعلّم دروسلماير، لأنهّ كان يتساوى عنده أن يذهب إلى نومبيرغ أو إلى أيّة جهة أخرى. وبما أنّه لم يكن قد بقيّ للمعلّم دروسلماير من أقارب في نومبيرغ غير أخيه كريستوف زكرياس دروسلماير، الذي كان من بين المتاجرين الأوائل في لعب الأطفال بنومبيرغ، فإنه قد قرّر أن يحلّ ضيفاً عليه.

أبدى كريستوف زكرياس دروسلماير ابتهاجاً كبيراً برؤية كريستيان المسكين، الذي كان هو يعتقد أنّه قد مات.

لم يتعرّف عليه أوّل الأمر، بسبب جبهته الصّلعاء وبسبب اللّصقة على عينه، لكن الميكانيكيّ أراه بذلته «الرودنغوت» الصّفراء الشّهيرة، التي كانت ما تزال، رغم كونها ممزّقة بالكامل، محتفظةً في بعض الأماكن منها بلونها الأصليّ؛ كما أنّ كريستيان إلياس دروسلماير دعّم دليله الأوّل هذا بسرده لعدد كبير من الوقائع الحميميّة التّي لا يمكن لأحد آخر، غيرهما هو وزكرياس، أن يكون على علم بها، ممّا وجد معه بائعُ اللُّعَب نفسَه مضطرّاً إلى الرّضوخ لما هو بديهيّ.

عندئذ سأله عن سبب غيابه عن مدينته الأصليّة كلّ هذه المدّة، وعن أيّ بلد ترك فيه شَعرَه وإحدى عينيه والقطعَ التي تمزّقت من بذلة «الرودنغوت».

لم يرَ كريستيان إلياس دروسلماير من داعٍ لإخفاء أيّ شيء ممّا حصل له عن أخيه. لذلك ابتدأ بتعريفه برفيقه في المصائب. بعد ذلك حكى له عن كلّ المكاره التي أصابته من الألف إلى الياء، ثمّ أنهى حديثه بالقول إنّه ليس أمامه سوى ساعات قليلة يقضيها معه، في انتظار أن يدخل، منذ الغد، حبسَه المؤبّد، ما دام لم يعثر على البندقة كراكاتوك.

كان كريستوف زكرياس، عندما كان أخوه يقصّ حكايته، قد حرّك أصابعه لأكثر من مرّة، كما أنّه كان يستدير على ساقه



ويفرقع لسانه. في ظروف أخرى، كان من المؤكّد أن يسأله الميكانيكيّ عمّا تعنيه تلك الحركات، لكنّه كان منهمكاً للغاية فيما هو فيه، فبدا وكأنّه لم ينتبه لشيء، إلى أن تمتم أخوه مرّتين: هوم! هوم! وثلاث مرّات: أوه! أوه! أوه! عندئذ سأله عمّا تعنيه تلك الأصوات.

- هي تعني، قال زكرياس، أنّ الأمر قد يكون متعلّقاً بالشيطان... لكنّ الأمر ليس كذلك. بلى هو كذلك.

- أن يكون الأمر متعلّقاً بالشّيطان؟...، قال الميكانيكيّ.

- بلى...، واصلَ بائع لُعَب الأطفال.

- بلى... ماذا؟ سأل من جديدٍ المعلّم دروسلماير.

أثناء تلك الأسئلة وتلك الإجابات المتقاطعة، كان كريستوف زكرياس يبدو وكأنّه يستدعي ذكرياته. لذلك، فعوضَ أن يجيب أخاه، قذف بشعره المستعار في الهواء وشرع يرقص وهو يصيح:

- لقد نجوتَ يا أخي! أنت يا أخي لن تدخل السّجن! فأنا يا أخي من يملك البندقة كراكاتوك، اللّهم إلا أن أكون ضحيّةَ خطأ فادح.

بعد ذلك، ودون أن يقدّم أيّة تفسيرات أخرى لأخيه، خرج ثمّ عاد بعد لحظة حاملاً في يده علبة توجد بداخلها بندقة مذهّبة ضخمة، وقدّمها للميكانيكيّ.

أمسك هذا الأخير بالبندقة متردّداً، وهو لا يصدّق، بالتأكيد، أنّه محظوظ إلى تلك الدّرجة، ثم شرع يقلّبها بين أصابعه وهو يفحصها فحصاً دقيقاً يليق بها. عقبَ ذلك صرّح بأنّه متّفق مع أخيه، وبأنّه سيكون في غاية الدّهشة إن لم تكن هي البندقة كراكاتوك. بعد ذلك سلّمها للمنجّم وطلب منه أن يبدي رأيه.

قام المنجّم، من جهته، بفحص البندقة بالانتباه نفسه الذي فحصها به المعلّم دروسلماير، فحرّك رأسه وقال:



- كنت سأتّفق معك، وبالنّتيجة مع أخيك أيضاً، لو لم تكـن البندقة مذهّبة. فأنا لم يسـبق لي أبداً أن قرأت على أيٍّ نجم من النجوم أنّ حبّة الفاكهة التي نبحث عنها مذهّبة. وفوق ذلك، كيف استطاع أخوك أن يحصل على البندقة كراكاتوك؟

- سأشرح لك الأمر، قال كريستوف، وسأوضّح لك كيف وقعتْ بين يدي وكيف اكتسَبَتْ هذا اللّون الذّهبيّ الذي يحول بينك وبين التّعرّف عليها، والذي ليس، بالفعل، لوناً أصليّاً فيها.

بعد ذلك طلب منهما الجلوس، لأنّه انتبه، بفطنته المعهودة، إلى أنّ المسافريْن قد يكونان، بعد تجوالهما لمدّة أربعة عشر عاماً

وتسعة أشهر، مصابَين بتعب شديد، ثمّ شرع يحكي:

- في اليوم ذاته الذي طلب فيه الملك إحضارك إليه بذريعة أنّه سيقلّدك وساماً، حلّ رجلٌ غريب بمدينة نومبيرغ وهو يحمل حقيبة من البندق يريد أن يبيعه. لكنّ تجّار البندق في البلد، الذين كانوا يريدون احتكار تجارة هذه المادّة الغذائية، شرعوا يتخاصمون معه، قبالة باب دكّاني. وبما أنّ الرّجل الغريب أراد أن يدافع عن نفسه متخفّفاً من حمله، فإنّه قد وضع حقيبة البندق على الأرض. وعندما اشتدّ الخصام بينهم، ممّا شكّل لحظة ابتهاج بالنّسبة للأطفال كما بالنّسبة للوسطاء، مرّت عربة ذات حمولة كبيرة فداست حقيبة البندق. عندما رأى التجّار تلك الحادثة، اعتبروها إشارة على عدالة السّماء التي انتقمت لهم، فتركوا الغريب وشأنه. قام الرّجل الغريب بحمل حقيبته، ولاحظ أنّ كلّ البندق كان قد سُحق باستثناء بندقة واحدة عرضها عليّ وهو يبتسم بطريقة فريدة، طالباً منّي أن أشتريها منه بقطعة نقديّة جديدة واحدة من القطَع المضروبة سنة 1720. ثمّ قال لي إنّني سأكون سعيداً ذات يوم لأنّني قد اشتريتها منه، رغم أنّ ثمنها يبدو الآن غالياً. بحثت في جيبي فعجبت من أنّني قد عثرت فيه على قطعة نقدية مماثلة لما طلبه الرّجل. بدا لي الأمر من قبيل

الصّدف الفريدة، فقدمت القطعة النّقدية للرجل، وسلّمني، من جهته، البندقة ثمّ اختفى. والحال أنّني قد عرضت البندقة للبيع. ورغم أنّني لم أطالب إلاّ بالثّمن الذي اشتريتُها به، تضاف إليه قطعتان من عُملة اليوم، فإنّها قد بقيت معروضة طيلة سبعِ سنواتٍ أو أكثر دون أن يُبدي أحد رغبة في اقتنائها. عندئذ كنت قد صبغتها باللون الذّهبيّ، رغبة منّي في زيادة قيمتها. لكن، ورغم أنّني قد أنفقت سدىً قطعتين نقديّتين جديدتين من عُملة 1720، فإنّ البندقة لم يشترِها أحد إلى يومنا هذا.

في تلك اللحظة أطلق العرّاف، الذي كانت البندقة قد بقيت بين يديه، صرخة فرح عالية. فهو، عندما كان المعلّم دروسلماير يستمع إلى حكاية أخيه، كان قد شرع يقشّر بِلينٍ، بواسطة سكين صغيرة، اللونَ الذّهبيّ للبندقة، فعثر، في جانب منها، على اسم **كراكاتوك**، محفوراً بحروف صينيّة. آنئذ ما عاد ثمّة من شكّ؛ كانت هويّة البندقة قد كُشفت.

4 - كيف عثر الميكانيكيّ والمنجّم على «كسّارة البندق»، بعد أن كانا قد عثرا على البندقة

كان كريستيان إيلياس دروسلماير يستعجل إخبار الملك بهذا النّبأ السّعيد، فأراد أن يستقلّ من جديد، وعلى الفور، عربة حمل البريد. لكن كريستوف زكرياس التمس منه أن يبقى، على الأقلّ، إلى أن يعود ابنه إلى البيت. والحال أنّ الميكانيكيّ استجاب طوعاً لطلب كريستوف، لأنه لم يكن قد رأى ابن أخيه منذ ما يقارب خمسة عشر عاماً. وعندما أخذ يستجمع ذكرياته، تذكّر أن ابن زكرياس كان، عندما غادر هو نومبيرغ، طفلاً صغيراً جذّاباً يبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف، وأنّه، هو إلياس، كان يحبّه من كلّ قلبه.

في تلك اللّحظة، ولج شابّ في الثّامنة عشرة أو التّاسعة عشرة من عمره حانوت كريستوف زكرياس، فاقترب منه وخاطبه على أنّه أبوه.

وبالفعل، فبعد أن قبّل زكرياس الشّاب، قدّمه لأخيه كريستيان إيلياس وهو يقول له:

- والآن، قبّلْ عمّك.

تردّد الشّاب، لأنّه لم يكن في العمّ دروسلماير، ببذلته



«الرّودنْغوت» الممزّقة وبمقدّمة رأسه الصّلعاء وباللّصقة على عينه، أدنى جاذبيّة. لكنْ، وبما أنّ أباه لمح تردّده، ومخافة أن يُجرَح إيلياس من ذلك، دفع ابنه من الخلف بطريقة متقنة، فوجد الشّاب نفسه بين أحضان الميكانيكيّ.

أثناء ذلك، كان المنجّم يثبّت بصره على الشّاب، بانتباه متواصل، إلى درجة أنّ الشّاب رأى في نظرته تلك أمراً غريباً. لذلك اغتنم أوّل فرصة كي يخرج، بعد أن أحسّ بالضّيق من أن يتمّ النظر إليه بتلك الطّريقة المريبة.

عندئذ سأل المنجّمُ زكرياس عن بعض التّفاصيل حول ابنه، فسارع بإخباره بها بحبّ أبويّ.

كان الشّاب دروسلماير، بالفعل، وكما يوحي بذلك محيّاه،

في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره. وقد كان منذ حداثة سنّه غريب الأطوار ولطيفاً، إلى درجة أنّ أمّه كانت تُلبسه بالطّريقة نفسها التي تُكسى بها اللّعَب في المحلّ؛ أي أنّها كانت تُلبسه أحياناً ملابس الطّالب وأحياناً ملابس الحوذيّ، وأخرى ملابس رجل هنغاريّ، لكنّها كانت تحرص دائماً على أن تكون ملابسَ تناسب ارتداءَ جزمة. فبما أنّه كان يملك أجمل ساقين في الدّنيا، لكنهما كانتا ضعيفتين، فإنّ الجزمة هي التّي كانت قادرة على إبراز ذلك الجمال وإخفاء تلك النّقيصة.

عندئذٍ سأل المنجّمُ كريستوف:

- هكذا إذن، لم يسبق لابنك أن ارتدى أيّ حذاء آخر غير الجزمة؟

ففتح إيلياس عينيه على سعتهما.

- لم يسبق لابني أن ارتدى إلاّ الجزمة، قال بائع لُعَب الأطفال، ثم أضاف: وعندما كان قد أصبح في العاشرة من



عمره، كنت أرسلته إلى جامعة توبنغن، وظلّ بها إلى أن أصبح في الثامنة عشرة، دون أن تُصيبَه العدوى بأيٍّ من تلك العادات السّيئة التي كانت سائدة في أوساط رفاقه، فلم يتعلّم الشّرب ولا الشتيمة ولا العراك. إنّ نقطة الضّعف الوحيدة التّي رأيتها عنده هي تركه لتلك الشّعرات الأربع أو الخمس تنمو على ذقنه، رافضاً أن يترك أيّ حلاّق يلمس وجهه لحلْقها.

- هكذا إذن، عقّب المنجّم، لم يسبق لابنك أن حلق ذقنه؟

فتح إيلياس عينيه أكثر فأكثر.

- لم يفعل ذلك قطُّ، أجاب زكرياس.

- وعندما كانت تحلّ عطل الجامعة، واصل المنجّم، كيف كان يقضيها ابنك؟

- كان يبقى في الحانوت، قال الأب، وهو يرتدي ملابس الطّلاب الجميلة، كما أنّه كان يتغزّل بالفتيات فيشرع يكسّر لهنّ البندق عندما يأتين ليشترين اللّعب من الحانوت، فشرعن يسمّينه، بسببٍ من ذلك، «كسّارة البندق».

- «كسّارة البندق»؟ سأل الميكانيكيّ.

- «كسّارة البندق»؟ كرّر المنجّم.

بعد ذلك تبادلا نظرة ذات معنى، في حين كان زكرياس ينظر إليهما معاً.

- سيّدي العزيز، قال المنجّم لزكرياس، يبدو لي أنّك قد أصبحت على مقربة من الفوز بثروة عظيمة.

أراد بائع اللُّعب، الذي تابع ما قاله المنجّم باهتمام كبير، أن يعرف المزيد، لكنّ المنجّم أخبره بأنّه لن يفسّر له كلامه قبلَ صباح اليوم التالي.

- إنّه هو، قال المنجّم لإيلياس، لقد استطعنا العثور عليه!

- أتعتقد؟ سأل إيلياس بنبرِ رجلٍ ما يزال يشكّ في الأمر، لكنّه لا يطلب أكثر من أن يصبح مقتنعاً بما سمع.

- بحق الرّب! تسألني إن كنت أعتقد بذلك؛ إنّه يتوفّر على كلّ الخصائص، على ما يبدو لي.

- لنُجْمِلْها.

- لم يسبق له أن ارتدى إلاّ جزمة.

- هذا صحيح.

- ولم يسبق له أن حلق ذقنه.

- هذا صحيح أيضاً.

- أخيراً، وحبّاً في التّغزّل أو بسبب نداء باطنيّ، كان يقضي اليوم كلّه في حانوت أبيه كي يكسر بندقات الفتيات الشّابّات اللائي لم يكنّ ينادينه إلاّ بـ «كسّارة البندق».

- هذا أيضاً صحيح.

- إنّ الأمور الجيّدة، يا صديقي، عندما تأتي، فإنّها تأتي مجتمعة. أمّا إن كنتَ ما تزال تشكّ فلْنذهب ولنَسأل النجوم.

بعد ذلك صعدا إلى سطح المنزل، وعندما عثرا على طالِع الفتى، رأيا أنّه منذور لنيل ثروة عظيمة.

وقد جعل هذا التّنبؤ، الذي يؤكّد آمالَ المنجّم، الميكانيكيَّ يقتنع برأيه.

- والآن، قال المنجّم المظفّر، ثمة أمران علينا ألاّ نهملهما.

- وما هما؟ سأل إيلياس.

- الأمر الأوّل هو أن تعمل على تثبيت ضفيرة خشبيّة قوية إلى رقبة ابن أخيك، تكون متناسقة مع فكّه لتتضاعف قوّة ضغطه.

- لا شيء أسهل من ذلك يا صديقي، فما طلبته يعتبر من أبجديّات الميكانيكا.

- أمّا الأمر الثّاني، واصل المنجّم، فأن نعمل، عند الوصول إلى القصر الملكيّ، على أن نخفي بعناية أنّنا قد أتينا معنا بالشّاب الذي سيكسّر البندقة كراكاتوك؛ ذلك أنّني أرى أنّه كلّما كثرت الأسنان المكسّرة والفكوك المنتزعة عند محاولة تكسير البندقة كراكاتوك، عرض الملك مكافأة أثمن لمن ينجح حيث فشل الآخرون.

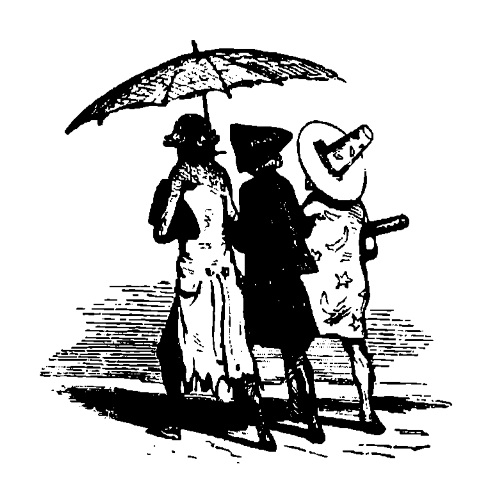
- أنت يا صديقي، أجاب الميكانيكيّ، رجلٌ ذو حصافة. هيّا بنا لننام.

عندئذ غادر الصّديقان السّطح ونزلا فدخلا فراشيهما وسحبا طاقيّتيهما على رأسيهما إلى أن غطّيا آذانهما، فناما نوماً هادئاً لم يسبق لهما أن ذاقا مثيلاً له منذ أربعة عشر عاماً وتسعة أشهر.

في اليوم التالي، صباحاً، توجّه الصّديقان إلى زكرياس، وأطلعاه على كلّ المشاريع التي وضعاها بالأمس. وبما أنّ زكرياس لم يكن يفتقر إلى الطموح، وبما أنه كان سعيداً، نظراً لحبّه الأبويّ، بأن يكون لابنه أحد أصلب الفكوك في ألمانيا، فإنّه قد قبلَ دون تردّد بفكرة أن يُخرج من حانوته، ليس فقط البندقة، وإنّما أيضاً كسّارتها.



أمّا الفتى فلم يقرّر إلاّ بصعوبة. فتلك الضّفيرة التي كان من المفروض أن تُثبّت إلى رقبته، معوِّضةً الصّرة التي كان يحملها بأناقة، كانت تزعجه بالخصوص. غير أنّ المنجّم وعمّه وأباه أمطروه بالوعود، فانتهى به الأمر إلى القبول. ونتيجة لذلك، وبما أنّ إيلياس دروسلماير قد شرع في عمله على الفور، فإن الضّفيرة سرعان ما أُعدّت فأُثبتت بإحكام إلى رقبة الفتى الذي كانت قد بدأت تحدوه آمال كبيرة. ولنعجّل الآن بالقول، إرضاءً لفضول قرّائنا، بأنّ تلك الآلة الحاذقة التّي ثبّتها الميكانيكيّ إلى رقبة ابن أخيه، قد نجحت نجاحاً كبيراً، إذْ استطاع دروسلماير الماهر، منذ اليوم التالي، أن يحصل على نتائج باهرة وهو يُقيم تجربة على نَوَيات المشمش الأكثر



صلابة وعلى نَوَيات الدّراقنة الأكثر عناداً.

وعندما تمّ القيام بتلك التّجارب، انتهج المنجّم والميكانيكيّ والفتى، على الفور، طريق القصر الملكيّ. كان زكرياس يودّ فعلاً أن يرافقهم، لكن، وبما أنّه كان من المفروض أن يبقى أحدٌ في الحانوت، فإنّ هذا الأب الرّائع ضحّى وقبل بالبقاء في نومبيرغ.



5 – نهاية حكاية الأميرة بيرليبات

كان أوّل شيء قام به المنجّم والميكانيكيّ، عندما وصلا إلى البلاط، هو أنْ تركا الشّاب في النُّزل، ثم ذهبا ليعلنا للملك أنّهما، بعد أن بحثا سدىً عن البندقة في جهات الدّنيا الأربع، عثرا عليها في نومبيرغ؛ لكنّهما، وكما كانا قد اتّفقا عليه، لم

يقولا كلمة واحدة عن الشخص الذي كان من المفروض أن يكسرها.

ساد القصرَ فرحٌ عظيم، وأرسل الملك، على الفور، في طلب المستشار المقرَّب، حارسِ الذّهنيةِ العموميّة، الذي كان يبْسط يده على الجرائد كلّها، فأمره بأن يحرّر مذكّرة رسميّة يعمّمها المرشد الملكيّ على محرّري الصّحف. وسيكون هؤلاء ملزمين بأن يكرّروا نشرها. كما أمره بأن يكون فحوى المذكّرة هو أنّ على كلّ من يرى نفسه مالكاً لأسنان قويّة قادرة على كسر البندقة كراكاتوك، أن يتقدّم إلى القصر، وعندما ستنجز المهمّة، ستخصّص لمن يقوم بها مكافأة مجزية.

في مثل هذه الظّروف فقط، تمّ تقدير ما في المملكة من فكوك. أقبل عدد كبير من المتنافسين، ممّا استدعى تشكيل لجنة تحكيم يرأسها طبيب أسنان القصر الذي كان يبتدئ بفحص المتنافسين كي يتأكّد ممّا إذا كانوا بالفعل يملكون اثنتين وثلاثين سنّاً، وممّا إذا لم تكن أيّ من تلك الأسنان نَخرة.

تمّ قبول ألفٍ وخمسمائة مترشّح لهذه المهمّة التي دامت ثمانية أيّام، والتي لم تؤدِّ، في النّهاية، إلى أيّة نتيجة أخرى غير عددٍ غير محدودٍ من الأسنان المكسورة والفكوك المخلوعة.

اقتضت الضّرورة إذن أن يتمّ نشر نداء جديد، فأضحت

الجرائد الوطنيّة والأجنبية مملوءة بالإعلانات. وكان الملك في هذا الإعلان الجديد قد عرض منصب الرّئيس الدائم للأكاديمية مع وسام العنكبوت الذّهبيّ على الفكّ الأقوى الذي سيستطيع كسر البندقة كراكاتوك. كما تضمّن الإعلانُ إشارةً إلى أنّ المستوى التعليميّ ليس شرطاً للتقدّم لهذه المباراة.

كانت حصيلة هذا الإعلان الجديد قدومَ خمسة آلاف متبارٍ. أرسلت كلّ الهيئات العلمية الأوروبية ممثّليها لهذا المؤتمر المهمّ. وقد شوهد بين الحضور أعداد كبيرة من أعضاء الأكاديمية الفرنسية، بينهم سكرتيرها الدائم، الذي لم يكن بإمكانه أن يدخل المنافسة، لأنّه كان بدون أسنان؛ ذلك أنّ أسنانه كانت قد انخلعت بسبب محاولته تمزيقَ كتب زملائه.

بيد أنّ المباراة الثّانية، التي دامت خمسة عشر يوماً، كانت، للأسف، أفظع من الأولى. كان مُنتَدبو المؤسّسات العلميّة، من بين باقي المتنافسين، يعاندون حفاظاً على سمعة الهيئات التي ينتمون إليها، فحاولوا جاهدين تكسير البندقة، لكنّ النتيجة كانت هي فقدانهم لأفضل أسنانهم.

أمّا البندقة، فإنّ قشرتها لم يظهر عليها أيّ أثر للمجهودات التي بُذلت قصدَ كسرها.

أصيب الملك بخيبة أمل عظيمة، لذلك فكّر في أن يقوم

بأمر خطير: فبما أنّه لم يكن له وارث ذكر، فإنّه قد نشر في الصّحف الوطنية والأجنبية أنّه سيزوّج ابنته الأميرة بيرليبات ممّن سيستطيع كسر البندقة كراكاتوك، كما أنّه سيورّثه العرش من بعده. والشّرط الوحيد الإجباريّ، هذه المرّة، هو أن تكون سنّ المتقدّم متراوحةً بين السّادسة عشرة والرّابعة والعشرين.

هزّ هذا الوعد ألمانيا برمّتها. أقبل المتنافسون من كلّ جهات أوروبا، وحتّى من آسيا وأفريقيا وأمريكا، بل وحتّى من الجهة الخامسة التي كان إيلياس دروسلماير وصديقه المنجّم قد اكتشفاها. وبما أنّ مدّة التّقدم للمباراة كانت قصيرة، فإنّ بعض القرّاء، عندما كانوا قد أخذوا في قراءة الإعلان، كانت



المباراة قد بدأت، لا بل ربّما قد انتهت.

فكّر الميكانيكيّ والمنجّم، هذه المرّة، بأنّ الوقت قد حان ليقدّما الشّاب دروسلماير، لأنّه لم يكن بإمكان الملك أن يقدّم عرضاً أكثر إغراءً من ذلك الذي قدّمه. وبما أنّهما كانا واثقين من النّصر، رغم تقدّم عدد كبير من الأمراء ذوي الفكوك الأميريّة أو الإمبراطوريّة، فإنّهما لم يتقدّما إلى مكتب التّسجيل (وبإمكاننا أن نخلط بين هذا المكتب ومكاتبِ جمعيّاتنا للعلوم والآداب) إلاّ عندما اقتربت لحظة الإغلاق، ممّا جعل اسم ناتانييل دروسلماير يكون هو الخامس والسبعين بعد أحدَ عشر ألفاً وثلاثمائة؛ أي الأخير في اللائحة.

كانت الحال، هذه المرّة أيضاً، مثل سابقتيها: خرج من المنافسة أربعة وسبعون وثلاثُمائة وأحدَ عشرَ ألفِ متقدّمٍ. وخلال اليوم التّاسع عشر، في السّاعة الحادية عشرة والدقيقةَ الخامسة والثّلاثين صباحاً، وفي اللحظة التي كانت الأميرة خلالها تُكمل سنتها الخامسة عشرة، نوديَ باسم ناتانييل دروسلماير.

استجاب الشّاب للنّداء، يرافقه عرّاباه، أي الميكانيكيّ والمنجّم.

كانت تلك المرّة الأولى التي يرى فيها العرّاب والمنجّم، من

جديدٍ، الأميرةَ منذ أن كانا قد غادرا مهدها. ومنذئذ، كانت قد طرأت عليها تغيّرات كبيرة. وعليّ أن أقول، بما عُهد فيَّ من صراحة، بوصفي مؤرّخاً، إنّ تلك التّغيرات كانت نحوَ الأسوأ: عندما كانا غادرا مهدها كانت بشعة فحسب، أمّا الآن، فقد أصبحت مرعبة.

كان جسدها، بالفعل، قد نَما، لكنْ دونَ أن يكبر. ولذا كان يصعب أن يفهم المرء كيف تستطيع ساقاها النحيلتان وجذعها المتصلّب حملَ ذلك الرأس الضّخم المسخيّ. كان رأسها يتشكّل من الشّعر المجعّد نفسه ومن العينين الخضراوين نفسيهما ومن الفم الكبير نفسه ومن الذقن القطنيّ الذي سبق أن تحدّثنا عنه، غير أنّ ذلك كلّه كان قد أصبح عمره خمسة عشر عاماً.

عندما رأى المسكين ناتانييل هذا الوحش الدّميم، ارتعش وسأل الميكانيكيّ والمنجّم إن كانا متأكّدين من أنّ البندقة كراكاتوك ستعيد بالفعل للأميرة جمالها. ثمّ قال لهما إنّه مستعدّ لأن يقوم بالمحاولة، سعياً منه للفلاح حيث أخفق الآخرون، لكنّه في حالة عدم استرداد الصبيّة جَمالها سيتخلّى عن شرف الزّواج الموعود وعن امتياز الجلوس على عرش المملكة، لمن يريد ذلك. فطمأن الميكانيكيُّ والمنجّمُ الفتى ناتانييلَ، الذي



كان بمثابة ابنهما الروحيّ، وأكّدا له أنّ الأميرة، بعد أن تُكسر البندقة وتَأكُل نواتها، ستصبح، في تلك اللّحظة نفسها، أجمل أميرة في الكون.

لكن علينا أن نقول، إنصافاً للمسكين ناتانييل، إنّه إن كان، هو، قد ارتعب من مشاهدة الأميرة بيرليبات، فإنّ رؤية الأميرة له كانت قد أحدثت أثراً مختلفاً تماماً على القلب الحسّاس لوارثة العرش، فلم تستطع أن تمنع نفسها من أن تصيح عند رؤيته:

- أوه! كم أودّ أن يكون هذا هو كاسر البندقة.

ممّا حدا بالقائمة على تربية الأميرة لأن تقول:

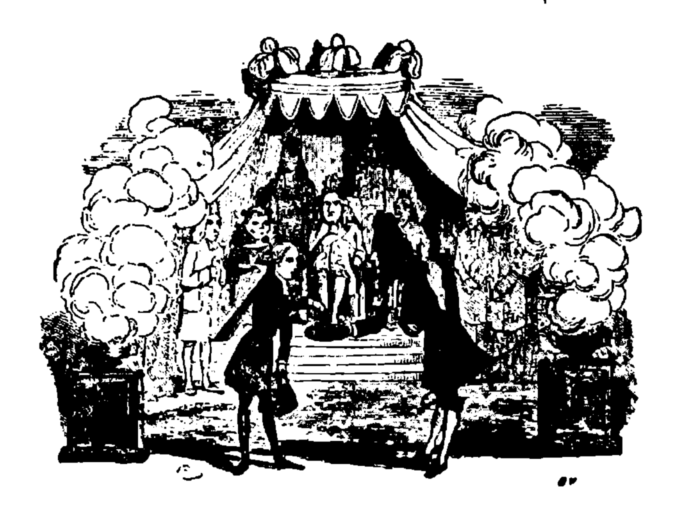
- أعتقد أنّ من واجبي أن ألفت انتباه سموّكم إلى أنّه ليس البتّة من عادة أميرة شابّة وجميلة مثلكم أن تبدي رأيها جهراً في أمور مثل هذه.

وبالفعل، فإنّ ناتانييل كان قادراً على أن يثير انتباه كلّ أميرات الدّنيا. كان يرتدي سترة بولنديّة من مُخمل بنفسجيّ اللّون عليها بعض الزّخارف وأزرارها مذهّبة، كان عمّه قد أعدّها له كي يرتديها في تلك المناسبة الرّسميّة، وسروالاً من القماش ذاته، مع جزمة رائعة، لامعة للغاية وعلى قدّه، ممّا كان يُظهرها وكأنّها مرسومة على قدميه. لكن كان ثمّة ذلك الذّيل الخشبيّ الشّقي الملصق إلى رقبته، والذي كان يخدش بعض الشيء جمالَ منظره العامّ. لكن العمّ دروسلماير أطال الذيل الخشبيّ، فبدا شبيهاً بمعطف، فأصبح ممكناً اعتبار الأمر نتيجةً لطريقة معيّنة في التّزيي، أو أنّه يتعلّق، ربّما، بموضة جديدة يحاول خيّاط ناتانييل، استغلالاً للمناسبة، أن يجعلها تتسرّب بهدوء إلى داخل القصر.

لذلك، وعندما رأت الأميرة هذا الرّجل الصّغير الجذّاب يدخل، خانها حذرها فقالت بصوت مرتفع ما كانت كلّ الحاضرات يقلْنه سرّاً. بل لم يكن ثمّة أحدٌ، بمن في ذلك الملك والملكة، لم يتمنَّ، في أعماقه، أن يكون ناتانييل هو الفائز في المسابقة التي يخوضها.

اقترب الشّاب دروسلماير، من جهته، بثقة ضاعفت الآمال المعقودة عليه. وعندما أصبح قرب المصطبة الملكية،

حيّا الملك والملكة والأميرة بيرليبات، ثمّ حيّا مساعديهم. بعد ذلك تسلّم من القيّم على الاحتفالات البندقةَ كراكاتوك، فأمسك بها برشاقة بسبّابته وبإبهامه، كما يفعل المشعوذ بجوزة الطِّيب، وأدخلها في فمه فضربَ بقبضة يده بقوّة على ضفيرة الخشب، ثمّ: كراك! كراك! فانكسرت قشرة البندقة إلى عدّة

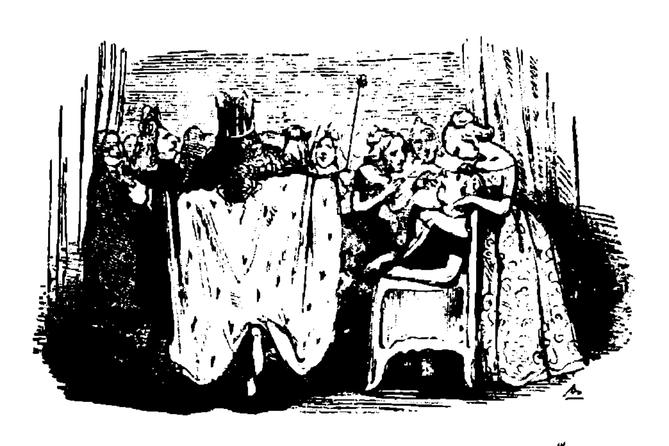


أجزاء.

بعد ذلك خلّص النّواة بحذقٍ ممّا بقي عالقاً بها من قشرتها وقدّمها للأميرة وهو يحيّيها تحيّة فيها من الرّشاقة بقدر ما فيها من الاحترام، ثمّ شرع يتراجع القهقرى. ابتلعت الأميرة على الفور نواة البندقة، وفي اللحظة نفسها، يا للمعجزة!، اختفى

الوحش المشوّه وحلّت محلّه فتاة بجمال ملائكيّ. كان وجهها يبدو منسوجاً من قطع حريريّة لونها ورديّ كالورد وأبيض كالزّنبق، وكانت عيناها تلمعان بلون سماويّ أزرق، أمّا خصلات شعرها الغزير فكانت وكأنّها خيوط ذهب تنسكب على كتفيها المرمريّتين. شرعت الأبواق والنّفير تُصدي على الفور، وارتفعت صرخات الشّعب متناغمة مع أصوات الآلات. وراحَ الملك والوزراء والقضاة يرقصون متقافزين، كما كانوا فعلوا لحظة ولادة الأميرة بيرليبات. أمّا الملكة، فقد سقطت مغشيّاً عليها من الفرح، فراحوا يرشّونها بماء الورد كي تستفيق.

أزعجت هذه الجلبةُ أيّما إزعاجٍ الشّابَ دروسلماير الذي كان ما يزال عليه، كما نذكر، كي ينهي مهمّته، أن يخطو سبع خطوات إلى الوراء. لكنّه أبدى قدرة كبيرة على التّماسك، ممّا جعل الحاضرين يعقدون آمالاً كبيرة على عهده الذي كان من المفروض أن يعقب عهد الملك الحالي. مدّ ناتانييل ساقه كي ينجز الخطوة السّابعة والأخيرة، لكنّ السيّدة فأرون عملت فجأةً على ثقب الأرضية، وشرعت بإصدار صوت مرعب، ثمّ انطلقت تعدو بين ساقي ناتانييل. هكذا، وعندما كان ملك المستقبل يضع ساقه على الأرض، وطأ بعقبه جسدَها ممّا



جعله يترنّح فكاد يسقط.

يا للشؤم! في تلك اللّحظة نفسها أصبح الشّاب مشوّهاً كما كانت الأميرة قبله مشوّهة: أصبحت ساقاه دقيقتين وأصبح جسده المتصلّب يحمل بصعوبةٍ رأسَه الضّخم والقبيح، وأصبحت عيناه زرقاوين زائغتين وجاحظتين. أمّا فمه فقد امتدّ حتّى أذنيْه، وتحوّلت لحيته الصّغيرة الوليدة إلى مادّة بيضاء ليّنة، سيتبيّن لاحقاً أنّها من قطن.

غير أنّ التي كانت السّبب في هذا الحدث عوقبت على الفور. كانت السيّدة فأرون ممدّدة داميّة على الأرضيّة: لم يبقَ إذن شرُّها بدون عقاب. وبالفعل، فقد كان دروسلماير الشّاب قد وطئها بعنف على الأرضيّة بكعب جزمته، فقتلها سَحقاً. كانت السيّدة فأرون تصيح بكلّ قوّة بصوتها المحتضر، وهي

تتلوّى:

كراكاتوك! كراكاتوك! أيتها البندقة القاسية،
أنت السّبب في الموت الذي أعانيه.
هِي... هِي... هِي... هِي

لكنّ المستقبل يحتفظ لي بحقّ الانتقام:
سينتقم لي ابني منكِ أيتها البندقة!
هِي... هِي... هِي... هِي

وداعاً أيّتها الحياة
التي خُطفت منّي قبل الأوان!
وداعاً أيّتها السّماء،
يا كأس العسل!
وداعاً أيّتها الدنيا،
يا نبع الخصوبة!
آه! أنا أموت!
هِي! هِي هِي! كويكْ!

ربّما لم تكن التنهيدة الأخيرة التي أصدرتها السيّدة فأرون

موزونةً ولا مقفّاةً كما ينبغي، لكن، إن كان مسموحاً بارتكاب خطأ في قواعد نظم الأشعار، فإنّ ذلك يكون في لحظة مفارقة الحياة.

عندما أسلمت السيّدة فأرون الرّوح، نوديّ على المكلّف بالموتى في القصر فحملها من ذيلها كي يضعها مع رفات عائلتها التّعيسة التي دفنت في قبر جماعيّ منذ خمسة عشر عاماً وبضعة أشهر.

وبما أنّ أحداً لم يهتمّ بناتانييل دروسلماير، أثناء ذلك، غير الميكانيكيّ والمنجّم، فإنّ الأميرة التي كانت تجهل بوقوع هذه الحادثة، أمرت بأن يُؤتى بالبطل الشّاب. فهي كانت، رغم توبيخ القائمة بتربيتها، متلهّفة لشكره على ما قام به من أجلها. لكنّها ما كادت ترى ناتانييل التعيس حتّى أخفت وجهها بكفّيها، وشرعت تصيح، ناسيةً الخدمة التّي كان قد أسداها لها:

- أخرجوه، أخرجوا «كسّارة البندق» البشع! أخرجوه، أخرجوه، أخرجوه!

أمسك كبير حرّاس القصر، على الفور، بناتانييل المسكين، من كتفيه، وألقى به على السّلم.

شرع الملك يوبّخ المنجّم والميكانيكيّ اللّذين اقترحا عليه



«كسّارة بندق» كي يكون صهراً له. وهكذا، عوضَ أن يسلّم الأوّلَ العشرة آلافٍ من نقد «التالير» مع النّظارة الشّرفيّة التي وعده بها، وعوضَ أن يقدّم للثّاني سيف الجواهر والوسام الملكيّ من درجة عنكبوت ذهبيّة، مع بذلة «الرّودنْغوت» الصّفراء الجديدة، أمر بنفيهما خارج المملكة في أجلٍ لا يتعدّى أربعاً وعشرين ساعة.

لم يكن أمامهما من سبيل سوى أن ينفّذا ما أُمرا به. وهكذا غادر الميكانيكيّ والمنجّم ودروسلماير الشابّ العاصمة، فاجتازوا حدود المملكة. لكن، عندما أقبل اللّيل، استشار

العالمان النجوم من جديد. قرآ في التقاء الكواكب أنّ ابنهما الروحيّ، ورغم العوائق التي تقف في طريقه، سيصبح على الأقلّ أميراً أو ملكاً، اللّهم إلاّ إن كان يفضّل أن يبقى شخصاً عاديّاً، وهو اختيار سيترك له هو. لكن ذلك سيحصل عندما يتخلّص من تشوّهه؛ وتشوّهه سيزول عندما سيتولّى القيّادة في إدارة معركة سيُقتل خلالها أمير الفئران الذي ولدته السيّدة فأرون بسبعة رؤوس بعد ما مات إخوته السّبعة، والذي كان هو الملك الحاليّ للفئران. وأخيراً، وفضلاً عمّا سبق، فإنّ تشوّه «كسّارة البندق» سيزول عندما تقع في حبّه شابّة جميلة.

وفي انتظار أن تتحقّق هذه التنبؤات، عاد ناتانييل دروسلماير إلى حانوت أبيه وقد أصبح «كسّارة بندق»، بعد أن كان قد غادره وهو ابنه الوحيد.

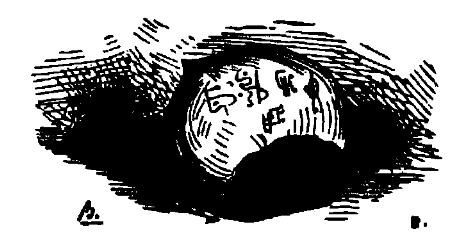
لست في حاجة لأن أقول إنّ أباه لم يتعرّف عليه البتّة،



وأنّه عندما سأل أخاه الميكانيكيّ وصديقه المنجّم عن ابنه المحبوب، أجاباه، بتلك الثّقة بالنّفس التي تميّز العلماء، بأنّ الملك والأميرة رفضا أن يتركا منقذ الأميرة ينصرف، وبأنّ ناتانييل الشّاب قد ظلّ في القصر، محفوفاً بالمجد وبالتّشريف.

أمّا بالنّسبة لـ «كسّارة البندق» الشّقيّ، الذي كان يستشعر صعوبة الوضعيّة التي يوجد فيها، فلم ينبس ببنت شفة، منتظراً التّغيير الذي من المفروض أن يطرأ عليه في المستقبل. لكن علينا أن نعترف بأنّ «كسّارة البندق»، رغم طيبوبته، ورغم رجاحة عقله، كان آنذاك يُضمِر ضغينة كبيرة لعمّه دروسلماير، الذي كان هو السّبب الحقيقي في المصيبة العظيمة التّي ألّمت به.

هذه، يا أبنائي الأعزّاء، هي حكاية «كسّارة البندق» والأميرة بيرليبات، كما حكاها العرّاب دروسلماير لماري الصّغيرة، وأنتم الآن تعرفون لماذا يقولون اليوم عن أمر صعب: «هو بندقة يصعب كسْرها».



الفصل الثامن

العمّ وابن أخيه

إن كان قد سبق لإحدى قارئاتي الشّابات أو لأحد قرّائي الشّبان أن جرَحه زجاجٌ، وهو ما يحصل عادةً عندما يعصي الأبناء آباءهم، فإنّه سيكون على علم، بالتجربة، بأنّ ذلك الجرح، بالخصوص، يكون مزعجاً، لأنّه يأبى أن يندمل. وجدت ماري نفسها، إذن، مرغمة على أن تظلّ في فراشها لأسبوع كامل، إذ كانت تُصاب بدوار كلّما حاولت الوقوف. وأخيراً تعافت تماماً فأصبح في إمكانها أن تعدوَ في الغرفة متقافزة كما كانت تفعل من قبل.

وسنكون ظالمين في حقّ بطلتنا الصّغيرة إن لم نتفهّم كون أوّل زيّارة قامت بها كانت إلى خزانة اللّعب الزّجاجيّة. وجدتها في حالة رائعة: كانت قطعة الزّجاج المكسورة فيها قد أُبدِلتْ، وكانت الأشجار والمنازل والدّمى التي أُهديت



لها بمناسبة حلول عيد الميلاد، تبدو جديدةً وملمّعة وبرّاقة، خلف النوافذ التي نظّفتها الآنسة ترودشن بعناية فائقة. لكن أوّل ما لمحته ماري، في البداية، وسط كلّ تلك الكنوز التي تشكّل مملكة طفولتها، كان هو «كسّارة البندق» الذي كان يبتسم لها من على الرّف الثّاني حيث كان يوجد، مُبدياً أسنانه التّي بدت في أحسن أحوالها. وعندما شرعت ماري تتأمّل «كسّارة البندق»، استولت عليها فكرةٌ كانت قد راودت ذهنها من قبل أكثر من مرّة، فانقبض قلبها. فكّرت في أنّ كلّ ما حكاه العرّاب دروسلماير، لم يكن حكاية متخيّلة، وإنّما هو القصّة الحقيقية لما حصل ل «كسّارة البندق» مع المرحومة السيّدة فأرون ومع ابنها الملك. عندئذ فهمتْ أنّ «كسّارة البندق» لم يكن سوى الشّاب الرائع دروسلماير، المنتمي لمدينة نومبيرغ، وهو ابن أخي العرّاب، لكنّه مسحور؛ ذلك أنّها لم

تشكّ للحظة واحدة في أنّ الميكانيكيّ الحاذقَ في بلاط الملك أبي بيرليبات لم يكن إلاّ المستشار الطّبيّ دروسلماير. ولقد أصبحت متأكّدة من ذلك منذ بدأت تراه يظهر في الحكاية مرتديّاً بدلته «الرّودنْغوت» الصّفراء. كما أنّ قناعتها تلك كانت قد ازدادت رسوخاً عندما رأته يفقد تباعاً شعرَه بسبب ضربة شمس، وعينَه بسبب رمية سهم، ممّا دعاه إلى وضع لصقة مرعبة على عينه وإلى ابتداع شعره المستعار الزجاجيّ المتقن الصّنع، والذي سبق لنا أن تحدّثنا عنه في مستهلّ هذه الحكاية.

- لكن لماذا لم يسارع عمّك إلى إنقاذك، يا «كسّارة البندق» المسكين؟، هكذا كانت ماري تتساءل في نفسها وهي تقف أمام الخزانة الزجاجية، متأمّلة محميَّها. كانت تفكّر في أنَّ تخلُّصَ هذا الرّجل الصّغير المسكين من سحره وترقّيه إلى رتبة ملكٍ لمملكة الدّمى مرهونان بانتصاره في المعركة. أمّا الدّمى فكانت تبدو، على أيّ حال، مستعدّة للخضوع لحكمه، وهو ما اتّضح خلال المعركة الفائتة، إذ تتذكّر ماري أنّ الدمى كانت أطاعت «كسّارة البندق»، تماماً كما يطيع الجنود عقيدَهم. كانت ماري تشعر بالحزن من لا مبالاة العرّاب دروسلماير. كما أنّها كانت تؤمن بأنّ الدّمى التي تُسنِد هي إليها في خيالها الحركةَ والحياة،

كانت تحيا بالفعل وتتحرّك.

غير أنّ الأمر لم يكن كذلك في الخزانة، على الأقل من أوّل نظرة، لأن كلّ شيء كان يبدو بداخلها هادئاً وجامداً. غير أنّ ماري، عوضَ أن تتخلّى عن قناعتها تلك، ردّت هدوء الدّمى وانعدام حركتها إلى سحر السيّدة فأرون وابنها. كانت متشبّعة تماماً بشعورها بأن الدّمى حيّة بالفعل وتتحرّك، إلى درجة أنّها سرعان ما بدأت تقول لـ «كسّارة البندق» بصوت مرتفع، بعد أن كانت، قبل قليل، تتحدّث لنفسها:

- على أيّ حال، رغم أنّك غير قادر الآن على الحركة، وعاجز عن أن تقول لي ولو كلمة واحدة، بسبب السّحر الذي أُصبت به، فأنا أعلم علم اليقين، يا عزيزي السّيد ناتانييل دروسلماير، أنّك تفهم جيّداً وتعرف معرفة تامّة نواياي الحسنة تجاهك. اعتمدْ إذن على دعمي لك كلّما كنت في حاجة



إليه. وفي انتظار ذلك، كن مطمئنّاً؛ فأنا سأتوسّل لعمّك كي يأتي لإغاثتك. فهو من أحذق الناس، وإذا كان يحبّك، وإن قليلاً، فيمكنك أن ترجوَ استجابته وقدومَه لنجدتك.

رغم فصاحة كلام ماري، فإنّ «كسّارة البندق» لم يُبدِ حِراكاً، لكنّه بدا لماري أنّ تنهيدة عبَرت الخزانة بهدوء، ممّا جعل زجاجها يهتزّ بخفوت، لكنْ أيضاً بطريقة لطيفة، حتّى لقد بدا لماري أنّ صوتاً شجيّاً شبيهاً بصوتِ جرسٍ ناعمٍ قد خاطبها قائلاً:

- يا ماري الصّغيرة العزيزة، يا ملاكي الذي يحرسني، سأكون لك، وستكونين لي!

عندما سمعت ماري، بطريقة ملغزة، تلك الكلمات، شعرتْ، عبْر الرّعشة التي عبَرت جسدها كلّه، براحة لا مثيل لها.

غير أنّ المساء كان قد حلّ، فدخل الدّارَ القاضي يرافقه المستشار الطّبيّ دروسلماير. وبعد لحظة، كانت الآنسة ترودشن قد أعدّت مائدة الشاي، فتحلّق حولها كلّ أفراد العائلة وشرعوا يتحادثون مبتهجين. أمّا ماري فقد ذهبت تبحث عن كرسيّها الصّغير وأتت لتجلس عند قدمي العرّاب دروسلماير. انتظرت إلى أن صمت الجميع فرفعت عينيها

الزّرقاوين الكبيرتين نحو المستشار الطّبيّ وقالت، وعيناها ثابتتان على وجهه:

- أنا أعلم الآن، أيّها العرّاب دروسلماير العزيز، أنّ «كسّارة البندق» هو ابن أخيك الشّاب دروسلماير المنتمي لمدينة نومبيرغ. لقد أصبح أميراً ثمّ ملكاً للدّمى، تماماً كما كان تنبّأ بذلك صديقك المنجّم، غير أنّك تعلم علم اليقين أنّه في حرب مفتوحة ومحتدمة مع ملك الفئران. لكن، لماذا أيّها العرّاب دروسلماير العزيز، لم تأتِ لنجدته عندما كنتَ في شكل بومة وأنت تمتطي السّاعة وكأنّك على صهوة فرس؟ والآن أيضاً، لماذا لا تهتمّ به؟

عندما قالت ماري ذلك، شرعت تحكي من جديد، وسط ضحكات عاليّة لكلّ من أبيها وأمّها والآنسة ترودشن، كلَّ تفاصيل تلك المعركة الشّهيرة التّي كانت شاهدة عليها. وحدهما فريتْس والعرّاب دروسلماير لم يكونا يحيدان عنها بعيونهما، وهما يستمعان إليها.

- لكن من أين تستقي هذه الفتاةُ الصّغيرة، سأل العرّاب دروسلماير، كلّ هذه الحماقات التي تراود ذهنها؟

- هي تملك خيالاً مجنّحاً، قالت الأمّ، وما قالته ليس، في العمق، سوى أحلام ورؤىً سببُها ما عانته من حمّى.

- والدّليل على ما تقولين، قال فريتْس لأمّه، هو أنّها تحكي أنّ خيّالتي قد لاذوا بأذيال الهرب، وهو ما لا يمكن أن يكون حقيقيّاً، اللّهم إلاّ أن يكونوا جبناء بغيضين، وفي هذه الحالة سأعنّفهم بصورة مضحكة. اللّعنة!

لكن العرّاب دروسلماير أمسك بماري ووضعها على ركبتيه وهو يقول لها بأكثر رقّة من أيّ يوم مضى:

- أيّتها الطّفلة العزيزة، أنت لا تعرفين أيَّ طريق ستسلكين بدفاعك الحماسيّ عن «كسّارة البندق»: فأنت ستعانين كثيراً إن واصلت اهتمامك بهذه الطريقة بالمسكين منكودِ الحظّ «كسّارة البندق». إنّ ملك الفئران الذي يَعتَبر «كسّارة البندق» قاتلَ أمّه، سيلاحقه بكلّ الوسائل الممكنة. لكن، وفي جميع الأحوال، فلست أنا، أتسمعين؟، لست أنا من بإمكانه أن ينقذه، وإنّما أنت: كوني إذن قويّة ومخلصة، وسيكون كلّ شيء على ما يرام.

لا ماري ولا أيٌّ من الحاضرين فهم شيئاً ممّا تفوّه به العرّاب دروسلماير. بل، وأكثر من ذلك، بدا للقاضي ما قاله العرّاب دروسلماير غريباً، ممّا جعله، دون أن ينبس ببنت شفة، يمسك بيد المستشار الطّبيّ ويقول له بعد أن جسّ نبضه، كما كان بارتولو قد قال لبازيل[12]:

- أنت تعاني، يا صديقي الطّيب من حمّى خطيرة، وأنصحك بالذهاب إلى فراشك كي تستريح.



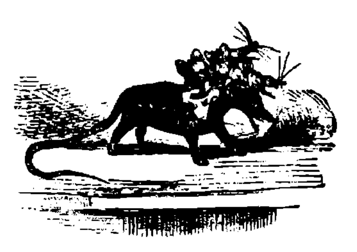
الفصل التاسع

العاصمة

خلال اللّيلة التي تلت هذا المشهد الذي حكيناه لتوّنا، كانت ماري تنام بالقرب من أمّها. وبما أن القمر الباهرَ السّطوع عملَ على تمرير شعاعٍ مضيءٍ منه عبر فتحة السّتار الذي لم يكن مغلقاً بإحكام، فإنّ ماري قد استيقظت، على ما يبدو، بفعل ضجيج قادم من زاويّة من الغرفة، مصحوباً بصفيرٍ حادٍّ وصئيٍّ ممتدّ.

- يا للهول! قالت ماري التي تعرّفت هذا الصّوت الذي سبق لها أن سمعته خلال الأمسيّة التي كانت دارت أثناءها تلك المعركة الشّهيرة. يا للهول! ها هي ذي الفئران تعود. ماما، ماما، ماما!

لكنّ صوتها ظلّ حبيس فمها، رغم المجهود الذي قامت به. حاولت أن تهرب، لكنّها لم تستطع تحريك يديها ولا ساقيها،



فظلّت وكأنّها مسمّرة إلى فراشها. عندئذ، وعندما أدارت عينيها المرعوبتين في اتّجاه الزّاويّة التي أتى منها الصّوت، رأت ملك الفئران يشقّ له ممرّاً عبر الجدار، فمرّر عبر الثّقب الذي أحدثه والذي كان يزداد اتساعاً، رأساً من رؤوسه ثمّ رأسين فثلاثه، إلى أن مرّر أخيراً رؤوسه المتوجّة السّبعة كلّها. وبعد أن قام بذرع الغرفة لمرّات متعدّدة، وكأنه فارس منتصر يتفقّد ما استولى عليه، قفز على الطّاولة التي كانت موضوعة إلى جانب فراش ماري الصّغيرة. عندئذ شرع ينظر إليها بعيونه اللامعة مثل الياقوت وهو يصفّر ويجعل أسنانه تصطكّ، قائلاً:

– هِي، هِي، هِي، عليك أن تقدّمي لي سكّرياتك وحلويّاتك المصنوعة من اللوز، أيّتها الطّفلة الصّغيرة، وإلا فإنّني سألتهم صديقك «كسّارة البندق».

ثمّ، وبعد أن تلفّظ بذلك التّهديد، فرّ من الغرفة عبر الثّقب نفسه الذي كان قد أحدثه ودخل منه.

أصيبت ماري برعب شديد من هذا الظّهور الرّهيب، ممّا



جعلها، صباح اليوم التالي، تستيقظ شاحبة الوجه ومنقبضة القلب. ومما زادَ في جزعها ذاك أنّها لم تجرؤ على حكي ما جرى لها خلال الليل، مخافة أن يهزؤوا بها. كانت الحكاية تراودُها لمرّات متعدّدة، فتهمّ بروايتها، سواء عندما تكون مع أمّها أو مع فريتْس، لكنّها كانت تُحجم في آخر لحظة، متأكّدة دائماً من أنّ أحداً منهما لن يصدّقها. هي كانت ترى، فقط، أنّ أوضح ما في المسألة هو أنّ عليها أن تضحّي، من أجل «كسّارة البندق»، بسكّرياتها وبحلويّات اللّوز. ونتيجة لذلك، وضعت كلّ ما كانت تملك منها، مساء اليوم نفسه، على حافة الخزانة.

وصباح اليوم التالي، قالت أمّها زوجة القاضي:

– أنا في الحقيقة لا أعرف من أين تأتي هذه الفئران التي عادت فجأة للظهور في بيتنا. انظُري يا ماري المسكينة، واصلت قائلةً وهي تقود الطّفلة الصّغيرة إلى غرفة الاستقبال،

فتلك الحيوانات الشّرّيرة قد التهمت كلّ الحلويات.

كانت زوجة القاضي، بقولها ذاك، قد ارتكبت خطأً؛ كان عليها أن تقول «أفسدتْ» وليس «التهمتْ»؛ ذلك أنّ ملك الفئران الجشع عندما لم يجد حلويّات اللّوز سائغة ومناسبة لذوقه، قام فقط بقضمها، فرُميَت.

غير أنّ ماري، التي لم يكن لها ميل خاصّ إلى الحلويّات، لم تشعر بندم حقيقيّ على التَّضحية التي طالبها بها ملك الفئران. لذلك شعرت بارتيّاح كبير وهي تظُنّ أنّها قد أنقذت «كسّارة البندق» بثمن بخس، معتقدة أنّ ملك الفئران سيكتفي بتلك المساهمة التّي طالبها بها.

لكن ارتيّاحها لم يدم، للأسف، سوى لوقتٍ قصير؛ ذلك أنّها قد استيقظت خلال اللّيلة التالية، وهي تسمع صفيراً وصئيّاً قرب أذنيها.

يا للأسف! كان الأمر يتعلّق ثانيةً بملك الفئران الذي كانت عيناه تلمع بطريقة أشدّ رعباً من اللّيلة الماضية. قال لها بالصّوت نفسه، المخلوط بالصّفير وصريف الأسنان:

- عليك، أيّتها الطّفلة الصغيرة، أن تعطيني دُماك المصنوعة من السّكّر ومن البسكويت، وإلا فإنّني سألتهم صديقك «كسّارة البندق».

قال ذلك ثم توجّه نحو الثّقب، متقافزاً، واختفى منه.

توجّهت ماري صباح اليوم التالي رأساً، وهي تشعر بحزن شديد، نحو الخزانة الزّجاجيّة. وعندما وقفت أمامها ألقت بنظرة حزينة على دمى السّكّريات والبسكويت. من المؤكّد أنّ حزنها كان طبيعيّاً، ما دام أحدٌ من الأطفال لم يكن يحظى بما كانت تحظى به هي من دمىً ذات وجوه شهيّة.

- يا للأسف! قالت ماري في سرّها وهي تلتفت نحو «كسّارة البندق»، يا للأسف أيها السّيد دروسلماير، أنا مستعدّة للقيام بكلّ شيء من أجل إنقاذك! لكنّ ما يُطلب منّي، وأنتَ بالتّأكيد تتّفق معي، أمرٌ قاسٍ للغاية.

لكن «كسّارة البندق» أصبح، عندما سمع ما قالته ماري، في حالٍ تدعو للرثاء، لذلك قرّرت الطّفلة الصّغيرة، وهي تعتقد أنّها ما تزال ترى فكّيْ ملك الفئران مفتوحين لالتهام



صديقها، أن تضحّي ثانية كي تنقذ هذا الشّاب البائس.
وخلال مساء اليوم نفسه قامت بوضع دُماها المصنوعة من السّكّر ومن البسكويت على حافة الخزانة، كما كانت بالأمس قد وضعت على الحافّة نفسها سكّرياتها وحلويات اللّوز.
عندئذ قامت، على سبيل الوداع، بتقبيل رُعاتها وراعياتها وقطعان أغنامها، تباعاً، عَامِدَةً إلى أن تُخفيَ خلف القطعان طفلاً صغيراً وجنتاه مستديرتان، كانت تُكنّ له حبّاً خاصّاً.

– آه! هذا أمر يفوق طاقتي، صاحت زوجة القاضي صباح اليوم التالي؛ من المفروض عمليّاً أن تكون فئرانٌ بشعة قد اتّخذت خلفيّة الخزانة مسكناً لها، فكلّ دُمى المسكينة ماري قد التُهِمت عن آخرها.

عندما سمعت ماري ما قالته أمّها سالت على خدّيها دمعتان كبيرتان، لكنّهما سرعان ما جفّتا تاركتيْن مكانهما لابتسامة مشرقة، فهي كانت تقول لنفسها سرّاً:

– ما قيمة الرّعاة والرّاعيات وقطعان الغنم ما دام «كسّارة البندق» قد أُنقِذ.

– لكنّني أذكّرِك، يا أمّي العزيزة، قال فريتْس الذي تابع المحادثة باهتمام بالغ، بأنّ للخبّاز مستشاراً مفوّضاً رمادي اللّون، يمكننا أن نرسل في طلبه، وسيضع على الفور حدّاً

لكلّ هذا بالتهامه للفئران الواحد بعد الآخر. وبعد أن يأكل كلّ الفئران سينبري للسيّدة فأرون نفسها ولملك الفئران أيضاً.

- نعم، أجابت زوجة القاضي، لكنّ مستشارك المفوض سيكسّر لي فناجيني وكؤوسي، بقفزه على الموائد وعلى المدافئ.

- آه! لا، قال فريتْس، ليس ثمّة من خطر؛ فالمستشار المفوّض للخبّاز ماهر للغاية ولا يمكنه أن يرتكب أخطاءً مثل هذه التي ذكرتِ. وأنا نفسي أتمنّى أن لو كان بإمكاني أن أمشي على حافة المزاريب وعلى قمم السّطوح كما يفعل هو بمهارة فائقة.

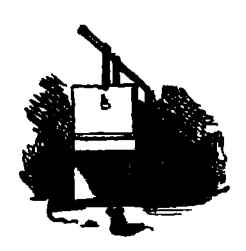
- لا، أنا لا أريد قططاً هنا! أبداً لا أريد قططاً! صاحت زوجة القاضي التّي لم تكن تطيق تلك الكائنات.

- لكن، قال القاضي الذي أثار انتباهَه الصّوتُ المرتفع، هناك أمر جيّد في ما قاله فريتْس، وعلينا الأخذ به: فعوضَ أن نستجلب قطّاً، يمكننا أن نستعمل فخاخاً للفئران.

- يا إلهي! صاح فريتْس، إنّ ما اقترحتَه ملائم تماماً ما دام العرّاب دروسلماير هو الذي اخترع تلك الفخاخ.

انخرط الجميع في الضّحك، وبما أنّهم قد بحثوا في المنزل كلّه فلم يعثروا على أثر لفخّ فئران واحد، فإنّهم قد بعثوا

للبحث عن فخّ فئران جيّد لدى العرّاب دروسلماير. وعندما أتوا به، وضعوا عليه قطعة من الشّحم ونصبوه في المكان نفسه الذي كانت الفئران قد أحدثت فيه، خلال اللّيلة الماضيّة، خسائر فادحة.



نامت ماري إذن وهي تأْمل في أن تجد ملك الفئران، صباح الغد، محبوساً في العلبة حيث سيقوده جشعه، لا محالة. لكنْ، حوالى الحاديّة عشرة ليلاً، وبما أنّ ماري كانت ما تزال في بداية نومها، فإنّها قد أُوقظت بشيء أحسّت به بارداً ومُشْعِراً وهو يقفز على ذراعها ووجهها. ثم بدأت تسمع من جديد ذينك الصّفير وصريف الأسنان اللّذين تعرفهما حقّ المعرفة. كان ملك الفئران البشع ثمّةَ، على وسادتها، عيناه تلمعان بلهيب دمويّ، فاتحاً أشداقه السّبعة، كما لو أنّه كان يستعدّ لالتهام ماري المسكينة.

– أنا أهزأ بذلك، أنا أهزأ به، أنا لن أذهب إلى ذلك المنزل

الصّغير، وقطعةُ الشّحم لا تغريني. لن أقع، لن أقع، وأنا أهزأ بذلك. لكن عليكِ أن تسلّميني كتبك المصوّرة والفستان الحريريّ الصّغير. أمّا إن رفضت، فخذي حذْرك، فإنّني سألتهم «كسّارة البندق».

نحن نتفهّم جيّداً أنّ ماري، بعد طلب مثل هذا، أفاقت صباحاً دامعة العينين، يعتصر الألم روحها. كما أنّ أمّها لم تخبرها بأيّ جديد عندما قالت لها ثانيّة إنّ فخ الفئران لا فائدة منه، لأنّ ملك الفئران شكّ في الأمر فلم يقربه. وبما أنّ زوجة القاضي خرجت عندئذٍ كي تذهب للإشراف على إعداد الغذاء، فإنّ ماري قد دخلت غرفة الاستقبال وتقدّمت باكيةً نحو الخزانة الزّجاجيّة.

- يا للأسف أيّها السّيد دروسلماير! قالت، إلى متى سيستمرّ كلّ هذا؟ فأنا عندما سأقدّم لملك الفئران كتبي المصوّرة الجميلة كي يعبث بها، وفستاني الجميل الصّغير الحريريّ، الذي أهداني إيّاه الطّفل المسيح بمناسبة عيد الميلاد، كي يمزّقه إرباً إرباً، فإنّه لن يكتفي بذلك أيضاً، وسيطالبني كلّ يوم بأشياء أخرى، إلى درجة أنّه، عندما لن يعود عندي ما أسلّمه إليه، ربّما افترسني أنا نفسي. يا للأسف! ويا لسوء حظّي!، أنا الطّفلة الصّغيرة. ما الذي عليَّ إذن أن أقوم به كي



أنقذك أيّها السّيد دروسلماير الطّيب والغالي؟ ما الذي عليّ أن أقوم به؟

عندما كانت ماري تبكي وتنوح بتلك الطّريقة، انتبهت إلى أنّ على عنق «كسّارة البندق» أثراً الدم. غير أنّ ماري، منذُ كانت قد علمت بأنّ محميّها هو ابن بائع اللُّعَب وابن أخي العرّاب دروسلماير، كانت قد كفّت تماماً عن حمله بين ذراعيها، وما عادت تداعبه أو تقبّله أبداً، فأضحى خجلها منه كبيراً، فما عادت تجرؤ حتّى على ملامسته بأطراف أصابعها. لكن في هذه اللّحظة، وعندما رأت جرحه، ومخافةَ أن يستفحل هذا الجرح فيصبح خطيراً، أخرجت «كسّارة البندق» من الخزانة برفق، وشرعت تمسح بمنديلها أثر الدّم الذي كان بادياً على عنقه. لكنّ مفاجأتها كانت عظيمة عندما شعرت بـ «كسّارة البندق» يشرع بالتّململ في يدها. وضعته بتحفّز على رفّه، فشرع فمه، حينئذ، يعتمل يميناً وشمالاً، ممّا جعله يبدو أكبر ممّا

كان عليه من ذي قبل. ومن كثرة ما اعتمل، انتهى بأن تلفّظ بصعوبة بالغة بهذه الكلمات:

- آه أيّتها الآنسة زيلبرهاوس الغالية، ويا صديقتي، كيف أردّ لك جميلك، وبأيّ العبارات أستطيع أن أشكرك! لا تضحّي من أجلي بكتبك المصوّرة ولا بفستانك الحريريّ. مكّنيني فقط من سيف، وليكن سيفاً جيّداً، وأنا سأتكفّل بالباقي.

كان «كسّارة البندق» يريد أن يستمرّ في الحديث لمدّة أطول، لكنّ كلامه أصبح غامضاً، وانطفأ صوته تماماً، كما أنّ عينيه، اللتين كانتا للحظة مُتّقدتين بتعبير حزين واضح، أصبحتا ثابتتين وواهنتين. لم ترتعب ماري من ذلك أبداً، بل على العكس، شرعت تقفز من الفرح، مبتهجة من كونها ستقدر على إنقاذ «كسّارة البندق» دون أن تجد نفسها مضطرّة للتّضحية بكتبها المصوّرة وبفستانها الحريريّ. لكنّ أمراً واحداً كان يقلقها: أين ستستطيع العثور على ذلك السّيف الذي طلبه منها الرّجل الصّغير. لذلك قرّرت أن تفاتح أخاها فريتْس في ما يشغلها. ومعروف عن فريتْس أنّه، بالرّغم من تبجّحه، كان يعرف كيف يكون ولداً مفيداً. أتت به إذن ماري إلى أن أوقفته أمام الخزانة الزّجاجيّة وحكت له كلّ ما حصل

لها مع «كسّارة البندق» ومع ملك الفئران، وانتهت بأن أخبرته ببُغيتها. كان الشّيء الوحيد الذي أثار فريتْس عندما كانت ماري تحكي، من قبل، أطوار المعركة، هو أن يكون خيّالته قد أعربوا، بالفعل، عن جبن خلال اللحظات الحاسمة من المعركة. لذلك سأل ماري، من جديد، إن كانت التّهمة التي توجّهها لخيّالته حقيقيّة. وبما أنّه كان يعلم علم اليقين أنّ أخته الصّغيرة لا يمكنها أن تكذب أبداً، فإنّه قد تقدّم، بعد أن أكّدت له حقيقة جبن خيّالته، نحو الخزانة وخطبَ في رجاله خطبة بدا أنّها قد أشعرتهم، بالفعل، بالخزي وبالعار ممّا أبدوه من جبن أثناء المعركة. غير أنّ ذلك لم يكن كلّ ما فعله: فكي يعاقب كلّ الفيلق من خلال قوّاده، عمل على نزع الرّتب عن الضّباط، الواحد بعد الآخر، ثم أصدر أمراً للنّفير يحظر عليه فيه أن يعزف مسيرة «خيّالة الحراسة» لسنة كاملة. بعد كلّ ذلك استدار نحو ماري وقال:

– أمّا بالنّسبة لـ «كسّارة البندق»، فأنا أعتقد أنّه فتىً شهم، ولديّ ما يطلبه. فبما أنّني قد أحلت على المعاش، أمس، نقيبَ مدرّعاتٍ عجوزاً، بعد أن أنهى مدّة خدمته، مع الاحتفاظ له بمعاشه طبعاً، فإنّني أقدّر أنّه لم يعد بحاجة إلى سيفه الذي هو بالفعل سيف قاطع.

بعد ذلك بقي عليهما أن يعثرا على هذا النّقيب العجوز، فشرعا يبحثان عنه إلى أن عثرا عليه يأكل معاشه الذي احتفظ له به فريتْس، في نُزل غُفلٍ، في الزّاوية الأكثر بعداً من رفّ الخزانة. وكما كان فريتْس قد تصوّر، لم يجدا صعوبة تُذكَر في إقناعه بتسليم سيفه ما دام قد أصبح بلا جدوى، فانتقل على الفور إلى «كسّارة البندق».

لم تستطع ماري النّوم خلال اللّيلة التالية، من كثرة ما كانت تشعر به من رعب. ظلّت مستيقظة إلى أن سمعت ساعة غرفة الاستقبال تدقّ اثنتي عشرة دقّة. وما إن انتهت الساعة من دقّتها الأخيرة، حتّى انتشرت جلبة قادمة من ناحيّة الخزانة، فسُمع صوت صلصلة سيفين يتقارعان، كما لو كان خصمان عنيدان يتسايفان. وفجأة سُمع صوت أحد المحاربين يسقط ميّتاً.

- هو ملك الفئران! صاحت ماري وقد غمرها في الآن نفسه فرحٌ ورعب.

في البداية لم تَصدر أيّ حركة، لكن، وعلى الفور، سمعتْ طرقاً رفيقاً، رفيقاً للغاية على الباب، ثم أصدر صوتٌ صغير موقَّع هذه الكلمات:

- أيّتها الآنسة زيلبرهاوس الغالية، أنا أحمل لك خبراً



سارّاً، فافتحي لي الباب، أرجوك.

تعرّفت ماري على صوت الشّاب دروسلماير، فارتدت بسرعة فستانها الصّغير وفتحت الباب بحذر. كان «كسّارة البندق» واقفاً بالباب، حاملاً سيفه الذي يقطر دماً بيده اليمنى وشمعة بيده اليسرى. وبمجرّد رؤيته لماري، جثا على ركبتيه وقال لها:

- أنت وحدك، يا سيّدتي، من شحنَني بشجاعة الفرسان التّي حاربتُ بها لتوّي. أنت من أعطى ذراعي القوّة كي



أحارب الوقح الذي جرُؤ على تهديدك. ها هو ذا ملك الفئران البائس مضرّج في دمائه. فهلاّ تفضّلت، سيّدتي، بقبول أوسمة النّصر التي يهديها لك فارسٌ نذرَ نفسه لك إلى أن يقضي نحبه؟

أخرج «كسّارة البندق»، وهو يتلفّظ بتلك الكلمات، من ذراعه اليسرى تيجان الذّهب السّبعة التي كانت في ملكيّة ملك الفئران، والتي كان قد أدخلها في ذراعه في شكلِ أساورَ، فقدّمها هديّة لماري التي قبِلتها بكلّ فرح.

عندئذ انتصب «كسّارة البندق» واقفاً، وقد شجّعته ماري بقبولها هديّته، فواصل قائلاً:

- آه! أيّتها الآنسة زيلبرهاوس، الآن وقد انتصرت على عدوّي، اسمحي لي بأن أريك أموراً رائعة، إن تنازلتِ وقبلتِ بمرافقتي لبضع خطوات. أوه! اقبَلي، اقبَلي يا آنستي العزيزة، أنا أتوسّل إليك.

لم تتردّد ماري للحظة واحدة، فرافقت «كسّارة البندق»؛ فهي تعلم كم من جميل لها عليه، وكانت متأكّدة من أنّه لن يستطيع أبداً أن يصيبها بسوء.

- سأتبعك، قالت، أيّها السّيد دروسلماير، لكن ليس إلى مكان بعيد، حتّى لا يدوم السّفر مدّة طويلة، فأنا لم أنمْ بعد بما فيه الكفاية.

- سأختار إذن الطريق الأكثر قرباً، رغم أنّه الأصعب.

عندما تلفّظ بتلك الكلمات، مشى قدُماً وسارت ماري في أثره.



الفصل العاشر

مملكة الدُّمى

وصلا، على الفور، فوقفا أمام خزانة قديمة وشاسعة تقع في دهليز قريب من الباب، كانت تستعمل لحفظ الملابس. توقّف «كسّارة البندق»، ولاحظت ماري، مندهشةً، أنّ مصراعي الخزانة، اللذين يكونان في العادة مغلقين بإحكام، كانا مفتوحين على سعتهما، ممّا مكّنها من أن ترى سترةَ سفرِ أبيها التّي كانت مصنوعة من فرو الثّعلب، معلّقة في مقدّمة باقي الملابس. تسلّق «كسّارة البندق» بمهارة فائقة حواشي الخزانة، متشبّثاً بالزّخارف النّاتئة فاستطاع الوصول إلى الطّرّة الكبيرة التي كانت تنزل خلف السّترة، فاستخرج منها سلّماً رائعاً مصنوعاً من خشب الأرز. بعد ذلك أوقف هذا السّلم بحيث تكون قاعدته ثابتة على الأرض وتدخل قمّته العليا في كمّ السّترة.

- والآن، يا آنستي العزيزة، قال «كسّارة البندق»، تفضّلي بوضع كفّك في كفّي وبالصّعود معي.

لبّت ماري دعوته. وما كادت تنظر عبر الكمّ حتّى رأت ضوءاً لامعاً يبرق أمامها، فوجدت نفسها فجأة تُنقل وسط برّية معطّرة وبرّاقة كأنّها مزروعة بالأحجار الكريمة.

- يا إلهي! صاحت ماري مفتونة، أين نحن أيّها السّيد دروسلماير العزيز؟

- نحن الآن في سهل السّكّر المصفّى يا آنسة، لكنّنا لن نتوقّف فيه، لو سمحت، فنحن سنمرّ فوراً عبر هذا الباب.

عندئذ فقط لمحت ماري، وهي ترفع بصرها، باباً رائعاً يتمّ الخروج عبره من البرّية. بدا وكأنّه مصنوع من رخام أبيض ومن رخام أحمر ومن رخام داكن. لكنّ ماري، عندما اقتربت من الباب، رأت أنّه ليس مصنوعاً إلاّ من معلّبات ورد البرتقال وملبّس اللوز وعنبِ بلادِ كورنْثه. وبسبب من ذلك كان يسمّى، كما أخبرها «كسّارة البندق»، بباب ملبّس اللّوز.

كان ذلك الباب يفضي إلى دهليز كبير يقوم على أعمدة من سكّر الشّعير، حيث كانت توجد ستّة قرود ترتدي لباساً أحمر وتعزف موسيقى إن لم تكن من أجمل صنوف الموسيقى فهي على الأقلّ من أكثرها أصالة. كانت ماري تستعجل الوصول،



ممّا جعلها لا تنتبه إلى أنّها تمشي على أرضيّة من الفستق وقطع حلوى اللّوز، معتقدةً أنّها أرضيّة من رخام. أدركت أخيراً نهاية الدّهليز. وما إن وجدت نفسها في الهواء الطّلق حتّى أحسّت أنّها توجد في خضمّ روائح عِطِرة زكيّة، تنبعث من غابة صغيرة كانت تمتدّ أمامها. كان من المفروض أن تكون تلك الغابة معتمة لولا تلك الأضواء الكثيرة التي كانت بداخلها. لذلك كانت متألّقة بفعل تلك الأضواء، إلى درجة أنّه كان بإمكان ماري أن ترى بوضوح كاملٍ فواكه الذّهب والفضّة المعلّقة إلى أغصانها والمزيّنة بالأشرطةً وبالورود، مِن مثلِ ما يقدّم لعروسين مبتهجين.

– آه أيّها السّيد دروسلماير العزيز، صاحت ماري، ما اسم هذا المكان الرّائع؟ أخبرني أرجوك.

– نحن في غابة الميلاد يا آنسة، قال «كسّارة البندق»، فمن

هذا المكان يأخذون الأشجار التّي يعلّق الطّفل المسيح الهدايا إلى أغصانها.

- أوه! ألا يمكنني أن أتوقّف هنا للحظة؟ أنا أشعر في هذا المكان براحة كبيرة، كما أنّ الروائح هنا جميلة جدّاً!

صفّق «كسّارة البندق»، على الفور، بكفّيه، فخرج من الغابة رعاة وراعيّات وصيّادون وصيّادات، في غاية الجمال والبياض وكأنّهم مصنوعون من السّكّر المصفّى. بعد ذلك أتوا بكرسيّ رائع مغشّىً بالشوكولاته، ووضعوا عليه وسادة من حشيشة الملاك، ثم دعوا بأدب جمّ ماري للجلوس عليه. وما إن استقرّت على الكرسي حتّى شرع الرّعاة والرّاعيات والصّيادون والصّيادات، تماماً كما يحصل في دُور الأوبرا، يرقصون رقصة باليه فاتنة مصحوبة بأصوات أبواق كان الصّيادون ينفخون فيها بطريقة ذكورية للغاية، ممّا كان يجعل وجوههم تتلوّن حتّى كانت خدودهم تبدو وكأنّها مصنوعة من مصبّرات الورود. وبعد أن أنهوا رقصتهم، اختفوا على الفور داخل أيكة.

- معذرة، يا آنسة زيلبرهاوس، قال «كسّارة البندق» عندئذ، وهو يمد كفّه لماري، اعذريني على أنّني لم أستطع أن أقدّم لك إلاّ رقصة الباليه الهزيلة هذه، لكنّ هؤلاء الخبثاء لا يتقنون إلاّ



أن يكرّروا إلى الأبد الخطوات نفسَها التّي سبق لهم أن خطوها مائة مرّة. أمّا الصّيادون، فقد نفخوا في الأبواق بطريقة خائرة، وأنا أؤكّد لك أنّه سيكون لهم معي حساب. لكن لندع هؤلاء الأغبياء ها هنا، ولنواصل جولتنا، لو سمحت.

- لكنّني وجدت كلّ ما قدّموه رائعاً، قالت ماري وهي تستجيب لدعوة «كسّارة البندق»، فأنا أعتقد، أيّها السّيد دروسلماير العزيز، أنّك تظلم راقصينا الصّغار هؤلاء.

فأتى «كسّارة البندق» بإيماءة تعني: «سنرى، وسيؤخذ تسامحكِ في حقّهم بعين الاعتبار». بعد ذلك واصلا طريقهما إلى أن وصلا إلى ضفّة نهرٍ بدا وكأنّه مصدر كلّ تلك الرّوائح الزّكية التي كانت تعطّر الأجواء.

- هذا، قال «كسّارة البندق» دون أن ينتظر سؤال ماري، هو وادي البرتقال. هو أحد أصغر الأوديّة في المملكة، فهو، إن استثنينا رائحته الطّيبة، لا يمكن أن يُقارَن بوادي شراب

اللّيمون الذي يصبّ في بحر الجنوب الذي يسمّى بحر المشروبات، كما لا يمكن مقارنته ببحيرة شراب اللّوز الذي يصبّ في بحر الشّمال الذي يسمّى بحر مستحلَب اللّوز.

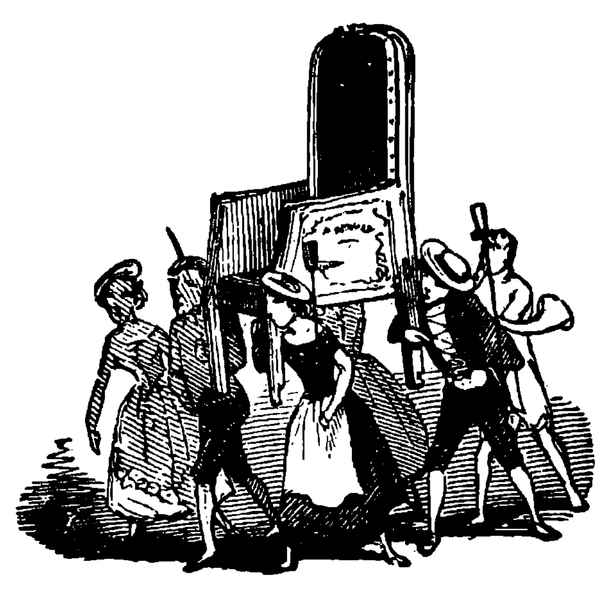
غير بعيد عن ذلك المكان، كانت توجد قرية، لونُ منازلها وكنائسها وبيتِ كاهنها داكن. سطوحها وحدها كانت بلون مذهّب، كما أنّ جدرانها كانت تتألّق بفعل الحلويّات الصّغيرة الزّرقاء والبيضاء التّي كانت ترصّعها.

- هذه قرية حلويات اللّوز والسّكّر، قال «كسّارة البندق». إنّها، كما ترين، بلدة لطيفة، تقع على ضفّة جدول العسل. إنّ مظهر سكّانها لَيسرّ النّاظرين، غير أنّ أمزجتهم غالباً ما تكون سيّئة، لأنّهم يشعرون دائماً بآلام في أسنانهم. لكنّنا، أيّتها الآنسة زيلبرهاوس العزيزة، واصلَ «كسّارة البندق» القول، لن نتوقّف، من فضلك، عند كلّ قرى المملكة ومدنها. هيّا بنا إلى العاصمة، إلى العاصمة!

عندئذ واصل «كسّارة البندق» السّير، وهو يمسك دائماً بكفّ ماري، لكن هذه المرّة بنشاط أوفر، لأنّ ماري التي اشتدّ فضولها، كانت تمشي معه جنباً إلى جنب، خفيفة مثل عصفور. أخيراً، وبعد لحظات، انتشرت في الهواء روائح زهور، ثمّ أصبح كلّ شيء حولهما بلون ورديّ. لاحظت ماري أنّ الأمر

يتعلّق بالروائح والانعكاسات المنبعثة من جدولٍ من ماء الزّهر كان يدفع بأمواجه الصّغيرة المصحوبة بلحنٍ شجيّ. وعلى الميّاه المعطّرة، كانت بجعات من فضّة، تزيّن أعناقَها عقودٌ من ذهب، تنساب ببطء وهي تغنّي أجمل الأغاني، إلى درجة أنّ ألحان تلك الأغاني، التي كانت على ما يبدو تُبهجها، جعلت سمكاتٍ من أحجار كريمة تشرع في القفز حولها.

- آه! صاحت ماري، هذا هو الجدول الجميل الذي كان العرّاب دروسلماير يريد صنعه من أجلي في عيد الميلاد، وأنا هي الفتاة الصّغيرة التي تداعب البجعات.





الفصل الحادي عشر

الرّحلة

صفّق «كسّارة البندق» بكفّيه من جديد، فتضخّم على الفور وادي ماء الورد، بشكل ظاهر، وخرجت من أمواجه مركبة مصنوعة من القواقع، مرصّعة بأحجار كريمة، تجرّها دلافين ذهبية، فشرعت تتألّق بفعل أشعّة الشّمس. قفز إلى الشّاطئ اثنا عشر رجلاً سُمر اللّون يضعون على رؤوسهم قبّعات من قشور المرجان، ويرتدون ملابس من ريش الطّير الطّنان، فحملوا في البداية ماري ثم «كسّارة البندق» إلى

المركبة التي شرعت تبحر على الماء.

وعلينا أن نقرّ بأنّ المشهد كان يبدو رائعاً للغاية، إلى درجة أنّ بالإمكان مقارنته بمشهد كليوباترة وهي تصعد نهر السّيدنوس. ذلك أنّ ماري كانت على مركبة القواقع محفوفة بالرّوائح العطرة، وهي تنساب على أمواج من ماء الزّهر، مجرورة بدلافين ذهبيّة ترفع رأسها بين الفينة والأخرى فتقذف في الهواء بحزمات لامعة من البلّور المورّد الذي يعود إلى السّقوط في شكلِ مطرٍ ألوانه بعدد ألوان قوس قزح. أخيراً، وكي تغمر البهجةُ كلَّ الحواس، بدأت تنبعث ألحانٌ هادئة، وعلَت أصوات سائغة بالغناء:

مَنْ ذا الذي يبحر هكذا على ماء الورد؟
هل هي السّاحرة ماب أم الملكة تيتانيا؟
أجيبي أيّتها السّمكات الصّغيرة
التي تَبرُق في الأمواج وكأنّها التماعاتٌ سائلة؛
أجيبي أيّتها البجعات الرّشيقة
التّي تنزلق على لُجَين الماء؛
أجيبي أيّتها العصافير ذات الألوان المتعدّدة
والتي تعبر الفضاء مثل ورودٍ طائرة.

وخلال ذلك، كان الرّجال السّمر الاثنا عشر، الذين قفزوا إلى مركبة القواقع وجلسوا في الخلف، قد بدأوا يحرّكون، بإيقاع منتظم، مظلاّتهم الصّغيرة المزيّنة بالأجراس، والتي كانت ماري تجلس في ظلّها وهي تطلّ على الأمواج مبتسمةً للوجه الجميل الذي كان يبادلها الابتسامة نفسها في كلّ موجة تمرّ أمامها.

عبرت ماري، على تلك الحال، وادي ماء الزّهر، فأضحت على مشارف الضّفة المقابلة. وعندما أصبحت المركبة على مسافة مجداف واحد من الضّفة، قفز الرّجال السّمر، بعضهم إلى الماء وبعضهم الآخر إلى الشاطئ، فصنعوا سلسلة ثمّ حملوا على بساطٍ من حشيشة الملاك، مزيّنٍ بأغصان النعناع، كلاًّ من ماري و«كسّارة البندق».

بقي عليهما أن يعبرا أجمة صغيرة، ربّما كانت أجمل من غابة أشجار الميلاد، لأنّ كلّ شجرة من أشجارها كانت تلمع وتبرق بفعل المادّة التّي تتشكّل منها. لكنّ أهمّ ما كان يثير الانتباه فيها، بالخصوص، هو الفواكه التي كانت عالقة بأغصانها، والتي كانت ذات ألوانٍ وشفافيّةٍ لا مثيل لهما، إذ كان بعضها أصفرَ مثل الزّبرجد، وكانت الأخرى حمراءَ مثل

الياقوت، كما أنّ أريجاً غريباً كان ينبعث منها.

- نحن في غابة المُربَّى، قال «كسّارة البندق»، وخلفها توجد العاصمة.

وبالفعل، فعندما أزاحت ماري آخر الأغصان، ظلّت منبهرة بما رأته من روعة المدينة الماثلة أمامها ومن أصالتها؛ فهي كانت مشيّدة على أرضية من ورود. لم يكن جمال المدينة يكمن فقط في الجدران وفي قِبَب الأجراس التي كانت تلمع بأكثر الألوان بهجةً، وإنّما أيضاً في أشكال بناياتها التي لم يكن بالإمكان التّطلع لرؤية أجمل منها على وجه البسيطة. أمّا بالنسبة لجدرانها وأبوابها، فكانت كلّها من فواكه تلمع في الشّمس بألوانها البهيّة، فتصبح أكثر تألّقاً بفضل السّكّر البلّوري الذي يغشّيها. وعندما عبَرا الباب الرّئيس قدّم لهما التّحيةَ العسكريّة جنودٌ من فضّة، وانقذف رجل يرتدي ملابس منزليّة بين أحضان «كسّارة البندق» وهو يقول له:

- أوه! ها أنتَ ذا أخيراً، أيّها الأمير العزيز، فمرحباً بك في مدينة المربّى، عاصمة المملكة.

اندهشت ماري بعض الشّيء من هذا اللّقب الفخم الذي أُطلق على «كسّارة البندق»، لكنّها سرعان ما تخلّصت من دهشتها وهي تسمع جلبة ناتجة عن خليط من الأصوات

المرتفعة، ممّا جعلها تسأل «كسّارة البندق» عمّا إذا كانت عاصمة مملكة الدّمى تشهد في ذلك الحين شغباً ما أو حفلة.

- ليس فيها شيء من ذلك أيّتها الآنسة زيلبرهاوس العزيزة، أجاب «كسّارة البندق»؛ لكنّ مدينة المربّى مدينة مبتهجة ومأهولة بالسّكان ممّا يؤدي إلى ارتفاع الأصوات. إنّ ذلك يحدث كلّ يوم، كما سترين خلال يومنا هذا. وأنا أريدك فقط أن تكلّفي نفسك بعض العناء كي تتقدّمي، هذا كلّ ما أطلبه منك الآن.

حثّت ماري الخطى بفعل فضولها الشّخصيّ، واستجابةً للدّعوة المهذّبة التي قدّمها لها «كسّارة البندق»، فوجدت نفسها بعد حين في ساحة السّوق الكبير التي كانت من أجمل ما يمكن للعين أن تراه. كانت كلّ المنازل الموجودة حول السّاحة مبنية من حلويّات، فوق أروقة تفضي إلى أروقة



أخرى. وكانت تقوم وسط السّاحة، في شكل مِسلّة، فطيرةُ حلوى ضخمة، تنطلق من وسطها أربع نافورات بشراب الليمون وعصير البرتقال وشراب اللّوز وشراب الكشمش. أمّا الأحواض فكانت مليئة بقشدة لذيذة مخلوطة بشدّة، يأكل منها، بواسطة ملاعق، أناس كثيرون أنيقون ورائعون في مظهرهم. لكنّ أروع ما كان هناك، هم أناس صغار يمشون جنباً إلى جنب، وهم يتجوّلون بالآلاف، متأبّطين أذرع بعضهم البعض، وهم يضحكون ويغنّون ويثرثرون بأصوات عالية، ممّا كان يُحدث تلك الجلبة المرحة التي سمعتها ماري. كان ثمّة، فضلاً عن سكّان العاصمة، رجال من كلّ البلاد: أرمنيّون ويونانيّون وتيروليّون وضبّاط وجنود ورهبان ورعاة ومهرّجون. كما كان ثمّة، على أيّ حال، أناس من كلّ الأنواع، بهلوانات ونطّاطون، كما هو الحال في كلّ أصقاع الدّنيا.



ثمّ سرعان ما تضاعف الصّخب عند مدخل طريق يؤدّي إلى السّاحة، حيث كان النّاس يفسحون لموكب كي يمرّ.

كان الأمر يتعلّق بأمير مغوليّ محمول في هودج، يرافقه ثلاثة وتسعون من أعيان مملكته وسبعمائة من عبيده. لكنْ حصل أنْ كان سلطان التّرك قادماً على فرسه، صدفةً، من الجهة الأخرى للطريق، وكان في معيّته ثلاثمائة من المشاة. كان العاهلان متخاصمين قليلاً، ممّا يعني أنّ كلاًّ منهما كان للآخر عدوّاً، وهو ما يعني بالنّتيجة أنّ أتباعهما كانوا نادراً ما يلتقون دون أن يؤدي التقاؤهم إلى مشاجرة. ونحن نعلم جيّداً أنّ الأمر سيكون مختلفاً تماماً عندما يجد هذان الملكان القويّان نفسيهما وجهاً لوجه. وبالفعل، حصل في البداية تزاحُم واختلاط عمل سكّان مدينة المربّى على الخروج منهما، لكن سرعان ما انبعثت صرخات غضب وخيبة: كان بستانيٌّ يفرّ بعد أن هشّم بعصَا جرّافتِهِ رأسَ متعبّدٍ هنديّ له في طبقته الاجتماعية مقامٌ رفيع، كما أنّ السّلطان نفسه كان قد أسقط بهلواناً شاهراً سلاحه من على فرسه عندما حاول المرور بمحاذاةِ مطيّته. كانت الجلبة تزداد ارتفاعاً، عندما صعد على فطيرة الحلوى العالية الرّجلُ ذو الملابس المنزليّة المصنوعة من ثوب الاستبرق والذي كان قد عمدَ، عند باب المدينة، إلى الترحيب بـ «كسّارة البندق» منادياً إيّاه بالأمير، فأطلق ثلاثَ دقّات من جرس لمّاع ورنّان وسائغ، ثمّ صاح ثلاث مرات:



- حلوانيّ، حلوانيّ، حلوانيّ![13]

هدأ الهرج على الفور، ففُكّ اشتباك الموكبين اللّذين كانا قبل حين مختلطين. نفضوا الغبار عن السّلطان الكبير، وأعيد تركيب رأس المتعبّد الرّفيع المقام، وأُمرَ بأن يتجنّب العَطس لثلاثة أيّام، مخافة أن ينحلّ جسدُه ثانيةً. بعد ذلك ساد الهدوء من جديد، فعادت الأمور إلى سابق عهدها، وواصل الجميع تناولَ شراب الليمون وشراب الكشمش وعصير البرتقال من النّافورة، وأكْل القشدة من الأحواض بمعلقات ممتلئة.

- لكن، أيّها السّيد دروسلماير العزيز، قالت ماري، ما سبب هذا التّأثير السّحريّ الذي طرأ على الشّعب الصّغير عندما نُطقت تلك الكلمة ثلاث مرّات: «حلوانيّ، حلوانيّ، حلوانيّ؟».

- عليَّ أن أقول لك، أيّتها الآنسة، أجاب «كسّارة البندق»،

إنّ شعب مدينة المربّى يؤمن بتناسخ الأرواح، كما أنّه واقع تحت التّأثير الشّديد لمبدأ يسمّى هنا مبدأ الحلوانيّ. ذلك أنّ هذا المبدأ يعطي لهذا الشّعب، حسبَ هواه، وبفعل إخضاعه لعمليّة طبخ قد تطول وقد تقصر، الشّكلَ الذي يريد. والحال أنّه ما دام كلّ شخص يعتقد أنّ شكله هو الأحسن من بين جميع الأشكال، فلا أحدَ يفكّر في تغييره. هذا هو السّبب في التّأثير السّحريّ لكلمة «حلوانيّ» على سكّان مدينة المربّى. وأنتِ قد رأيتِ كيف أنّ هذه الكلمة، عندما تلفّظ بها عمدة المدينة، كانت كافية كي تضع حدّاً للهرج. فبمجرّد التلفّظ بها ينسى الجميعُ الأمورَ الأرضيّة والأضلعَ المهشّمة والرّؤوسَ المقطوعة، ويفيئون إلى ذواتهم ويقول كلٌّ في نفسه: «يا إلهي! ما الإنسان؟ إنّه عرْضة لكلّ شيء».

وصل «كسّارة البندق» وماري، وهما في حديثهما ذاك، أمام قصر ينبعث منه شعاع ورديّ ويعلوه مائة برج رشيق وسامق. كانت جدرانه مزيّنة بباقات من البنفسج والنّرجس والخزامى والياسمين التي كانت تنشر على تلك الجدران الورديّة ألواناً مختلفة. أمّا قبّته التي تقع في الوسط فكانت منقوشة بآلاف النّجوم الذّهبيّة والفضّية.

- أوه، يا إلهي! صاحت ماري، ما هذه البناية الرّائعة؟



- إنّه قصر حلوى اللّوز، أجاب «كسّارة البندق»، وهو ما يعني أنّه إحدى المعالم الأكثر أهمّية في عاصمة مملكة الدّمَى.

غير أنّ ماري، مع أنّها كانت مأخوذة تماماً باندهاشها وبتأمّلها، لم يفتْها أن تنتبه إلى أنّ أحد تلك الأبراج الكبيرة كان بلا سقف تماماً، وأنّ بعض الرّجال الواقفين على كومة من خشب القرفة كانوا منهمكين في إعادة تسقيفه. وعندما همّت بسؤال «كسّارة البندق» عن ذلك، كان قد خمّن ما يدور بخلدها فقال:

- للأسف، كان هذا القصر، منذ مدّة قصيرة، مهدّداً بتداعيات كبيرة، إن لم يكن بانهدام كامل. فقد عضّ العملاق المسمّى «فم اللّذائذ» هذا البرج برفق، لا بل كان قد شرع حتّى في قضم القبّة، لولا أنْ أتاه سكّان مدينة المربّى بحارة

من مدينتهم تسمّى حلوى الفستق والجوز وبقَدر من غابة حشيشة الملاك، فقبِل بالابتعاد دون أن يكون قد أحدث من الضّرر إلاّ ما رأيتِ.

في تلك اللّحظة سمعا موسيقى رقيقة وبديعة.

انفتحت أبواب القصر من تلقاء نفسها فخرج منها اثنا عشر غلاماً، يحملون في أيديهم أعشاباً معطّرة على رؤوسها نار في شكل مشاعل. كان رأس كلٍّ من هؤلاء الغلمان يتشكّل من جوهرة، وكانت أجساد ستّة من بينهم من الياقوت وأجساد ستّة آخرين من الزمرّد، كما أنّهم كانوا يمشون على ساقين صغيرتين من ذهب منقوش بإبداع، على ذوق بنفنيتو تشليني[14].

كان يمشي وراء الغلمان أربعُ سيّدات تقارب قامتهنّ، على أكبر تقدير، قامة الآنسة كليرشن، دمية ماري الجديدة. لكنّهن كنّ يرتدين ملابس فاتنة إلى درجة أنّ ماري أيقنت على الفور أنّهن أميرات مدينة المرّبى. عندما رأينَ، أربعَتهنّ، «كسّارة البندق»، انقذفن في حضنه بقوّة وبحنان، وهن يصحن، في الوقت نفسه، وبصوت واحد:

- آه يا أميري! يا أميري الرائع!... آه يا أخي! يا أخي الرّائع!

بدا «كسّارة البندق» في غاية التّأثر. شرع يمسح دموعاً غزيرة كانت تسيل من عينيه، ثمّ قال للسّيدات الأربع، بطريقة مؤثّرة للغاية، وهو يمسك بماري من كفّها:

- أخواتي العزيزات، أقدّم لكنّ الآنسة ماري زيلبرهاوس؛ إنّها ابنة السّيد القاضي زيلبرهاوس، من نومبيرغ، وهو رجل ذو اعتبار كبير في المدينة التي يقطنها. إنّ ماري هي التي أنقذتني؛ ذلك أنّها، لو لم تكن قد قذفت بحذائها ملكَ الفئران، عندما كنت أنا قد انهزمت في المعركة، ولو لم تكن، لاحقاً، قد تفضّلت بإعارتي سيفَ نقيبٍ أحاله أخوها على التّقاعد، لكنتُ الآن في قبري، أو لكان ملك الفئران الآن، وهو أمر أفظع، قد افترسني. آه أيّتها الآنسة زيلبرهاوس العزيزة! صاح «كسّارة البندق» بحماس كبير لم يستطع أن يسيطر عليه، إنّ بيرليبات، رغم كونها ابنة ملك، لا تستحقّ حتّى أن تحلّ ربطة سيور حذائك الجميل.



- أوه! لا، لا، بالتأكيد، كرّرت الأميرات الأربع في شكل جوقة.

بعد ذلك احتضنّ ماري وهن يصحن:

- آه أيّتها النّبيلة، يا محرّرة عزيزنا ومحبوبنا الأميرِ أخينا! آه يا آنسة زيلبرهاوس الرّائعة!

ومع تلك التّنهيدات التي لم يستطعن أن يجعلنها أكثر قوّة بسبب امتلاء قلوبهنّ بالفرح، قادت الأميرات الأربع ماري و«كسّارة البندق» إلى داخل القصر، وأجلسنهما على أريكتين جميلتين من خشب الأرز ومن خشب آخر قادم من البرازيل، مزيّنيْن بورود ذهبيّة، مؤكّداتٍ أنّهن سيُعْدِدْن هنّ أنفسهنّ الطّعام. بعد ذلك ذهبن للبحث عن عدد من الكؤوس والقصعات المصنوعة من خزف يابانيّ رقيق، وملاعق وسكاكين وشوكات وطناجر وقطع ماعون أخرى خاصّة بالمطبخ، مصنوعة كلّها من الذّهب والفضّة. بعد ذلك أحضرن فواكه جميلة وحلويّات لذيذة لم يسبق لماري أن رأت ما هو أجمل منها، فشرعن يشتغلن بطريقة جعلت ماري ترى أنّ أميرات مدينة المربّى منسجمات بشكل رائع في إعداد الأكل. والحال، أنّ ماري كان يعجبها هي أيضاً أن تقوم بما يقمن به، فتمنّت في سرّها أن تشارك فيما كان يحدث أمامها.

آنئذ قالت لها أجمل أخوات «كسّارة البندق» الأربع، وهي تمد لها مهراساً ذهبياً صغيراً:

- يا محرّرة أخي العزيزة، أهرسي لي، من فضلك، من هذا السّكّر الصّافي.

سارعت ماري بالاستجابة للدّعوة، وبينما كانت هي آخذة في هرس السّكّر، بالدّق في المهراس بطريقة موقّعة، ممّا جعل



لحناً رقيقاً ينبعث منه، بدأ «كسّارة البندق» يحكي عن مغامراته بكلّ تفاصيلها. لكن، وبطريقة غريبة، بدا لماري، أثناء حكي «كسّارة البندق» لمغامراته، أنّ كلمات الشاب دروسلماير، مع

دقات المهراس، لم تكن تصل إلى سمعها إلاّ بطريقة غامضة. وسرعان ما رأت نفسها وكأنّها ملفوفة بشيء كأنّه بخار، بعد ذلك تحوّل البخار إلى شفّ فضّيّ، بدأ يتكاثف أكثر فأكثر حولها، ممّا جعله يبدأ، شيئاً فشيئاً، في حجب الرّؤية عنها، فلم تعد ترى «كسّارة البندق» وأخواته الأميرات. عندئذ بدأت تنبعث أغاني غريبة شبيهة بتلك التي سمعتها عندما كانت تعبر نهر ماء الورد، مخلوطة بخرير الماء المتنامي. بعد ذلك بدا لماري أنّ الأمواج تمرّ من تحتها وترفعها وهي تتضخّم. شعرت أنّها ترتفع عالياً، عالياً، أكثر علوّاً، أكثر علوّاً، ثمّ هووووب! ها هي ذي تسقط من علوّ لم يكن بإمكانها أن تتخيّله.



خاتمة

لا يمكننا أن نسقط من علوٍّ بضعة آلاف الأقدام دون أن نستيقظ؛ لذلك أفاقت ماري فوجدت نفسها في سريرها الصّغير. كان الوقت نهاراً، وكانت أمّها إلى جانبها وهي تقول:

- هل يمكننا أن نصل إلى هذه الدّرجة التي أنت عليها من الكسل؟ هيّا استيقظي وارتدي ملابسك، فالطّعام في انتظارك.

- آه! يا أمّي العزيزة، قالت ماري، وهي تفتح عينيها المنبهرتين، إلى أيّ مكان قادني، هذه اللّيلة، الشّاب السّيد دروسلماير، فلم يترك شيئاً رائعاً إلاّ أراني إيّاه؟

عندئذ حكت ماري لأمّها كلّ ما حكيناه نحن لتوّنا.

وعندما أنهت حكايتها، خاطبتها أمّها قائلة:



- إنّك رأيت في منامك حلماً طويلاً جدّاً ورائعاً، يا ماري العزيزة. لكن، ما دمت الآن قد استيقظت، عليك أن تنسي كلّ ذلك، وأن تأتي كي تتناولي طعامَ فطورك.

لكنّ ماري ألحّت، وهي ترتدي ملابسها، على أنّ ما حكته لم يكن حلماً وإنّما حقيقة رأتها بأمّ عينيها. عندئذ تقدّمت أمّها نحو الخزانة الزّجاجية فحملت «كسّارة البندق» الذي كان كالعادة على رفّه الثّالث، وأتت به نحو ابنتها وهي تقول لها:

- كيف يمكنك أن تتصّوري للحظة واحدة، أيّتها الطّفلة المجنونة، أنّ هذه الدّمية المشكّلة من خشب وثوب، يمكنها أن تكون حيّة تتحرّك وتفكّر؟

- أنا أعلم علم اليقين يا أمّي العزيزة، قالت ماري بنفاد صبر، أنّ «كسّارة البندق» هو الشّاب السّيد دروسلماير نفسه، وهو ابن أخي العرّاب دروسلماير.

عندئذ سمعت ماري خلفها أصوات ضحك عاليّة.

كان أولئك هم القاضي وفريتْس والآنسة ترودشن الذين كانوا يضحكون سخريّةً من كلامها.

- آه! صاحت ماري، ألا تكون الآن أيضاً تسخر من «كسّارة البندق» يا أبي العزيز؟ هذا مع أنّه قد تحدّث عنك باحترام كامل، عندما ولجنا قصر حلويات اللّوز، وقدّمني لأخواته الأميرات.

تضاعفت أصوات الضّحك، إلى درجة أنّ ماري وجدت نفسها مرغمة على تقديم دليل على صحّة ما تقوله، خوفاً من أن يأخذوا في معاملتها على أنّها فتاة مخبولة.

عندئذ دخلت الغرفة المجاورة وأخذت علبة صغيرة كانت قد وضعت فيها بعناية تيجان ملك الفئران السّبعة، ثم عادت وهي تقول:

- خذي يا أمّي العزيزة، فهذه هي تيجان ملك الفئران السّبعة التّي قدّمها لي «كسّارة البندق» بمناسبة انتصاره.

أمسكت زوجة القاضي، مندهشة، بالتّيجان الصّغيرة، وشرعت تتأمّل معدنها البرّاق وغير المعروف بين المعادن المتداولة. كانت التّيجان منقوشة بطريقة بارعة تعجز عن مثلها الأيادي الآدمية. القاضي نفسه لم يستطع منع نفسه من

الاستمرار في فحص تلك التّيجان الصّغيرة، فأقرّ بأنّها نفيسة، رافضاً رفضاً باتّاً أن يسلّم ولو واحداً منها لفريتْس الذي كان يطلب بإلحاح أن يلمسها، وهو يقف على رؤوس أصابع قدميه كي يراها بطريقة واضحة.

في تلك اللّحظة، بدأ القاضي وزوجته يستعجلان ماري كي تخبرهما بمصدر تلك التّيجان الصّغيرة، لكنّه لم يكن بإمكان الطّفلة الصّغيرة إلاّ أن تصرّ على ما سبق لها أن قالته. وعندما نفد صبر أبيها ممّا كان يعتبره عناداً، فاتّهمها بأنّها مجرّد كاذبة، شرعت تبكي بقوّة وهي تصيح:

- يا للأسف! ما الذي تريدونني أن أقوله لكم، أنا الطّفلة الصّغيرة؟

في تلك اللّحظة انفتح الباب، فدخل المستشار الطبّي وصاح بدوره:

- لكن ما الذي يحصل؟ ماذا فعلتم لابنتي الرّوحيّة ماري الصّغيرة التي تبكي وتنوح بهذه الطّريقة؟ بماذا يتعلّق الأمر؟ ماذا حدث؟

أخبر القاضي القادمَ الجديد بكلّ ما حصل، وعندما أنهى حديثه أراه التّيجان السّبعة الصّغيرة. لكنّ العرّاب، بمجرّد أن رآها، شرع يضحك:

- ها، ها، ها! المزحة كانت جيّدة! إنّها التّيجان السّبعة التي كنت أضعها في سلسلة ساعتي، منذ سنوات خلت، وكنتُ قد أهديتها لابنتي الرّوحيّة بمناسبة عيد ميلادها الثّاني، ألا تتذكّر ذلك أيّها السيّدُ القاضي؟

لكنّ القاضي وزوجته لم يكونا يحتفظان بأيّة ذكرى عن ذلك، رغم المجهود الذي بذلاه في التّذكّر. غير أنّ وجهيهما، عندما استمعا إلى ما قاله العرّاب، كانا قد أخذا يستعيدان تدريجياً طيبتهما المعتادة. أمّا ماري فقد التفتت، عندئذ، نحو المستشار الطّبي وهي تصيح:

- لكنّك على علم بكلّ ما قلته، أيّها العرّاب دروسلماير. اعترفْ إذن بأن «كسّارة البندق» هو ابن أخيك، وأنّه هو من سلّمني تلك التّيجان السّبعة.

لكن العرّاب دروسلماير بدا مستاءً من كلّ ذلك؛ فقطّب جبهته واغتمّ وجهه، ممّا جعل الرّئيس ينادي ماري ويضعها بين ساقيه وهو يقول:

- استمعي إليّ يا بنيّتي، فأنا أحدّثك الآن بجدّية: أسدي لي معروفاً، وضعي جانباً، بشكل نهائيّ، كلّ هذه التّخيلات الحمقاء. فإن حصل وقلتِ من جديد إنّ هذا البشع المشوّه المسمّى «كسّارة البندق» هو ابن أخي صديقنا المستشار الطّبيّ،

فإنني أحذّرك بأنّني سألقي من النّافذة، ليس فقط بـ «كسّارة البندق» هذا، وإنّما أيضاً بكلّ دُماك بما فيها الآنسة كلير.

لم تعد ماري المسكينة إذن تجرؤ على الحديث عن كلّ تلك الأشياء الجميلة التي كانت تملأ خيالها، لكنّ قرّائي الشّباب وبالخصوص قارئاتي الشابّات، سيفهمون أنّنا عندما نكون قد قمنا مرّة واحدة بتلك الرّحلة فإنّنا يصعب علينا أن ننسى ذكراها؛ خصوصاً عندما تكون تلك الرّحلة إلى بلد جذّاب مثل مملكة الدّمى، وعندما نكون قد رأينا مدينة شهيّة مثل مدينة المربّى، وإن لم نكن قد أمضينا فيها سوى ساعة واحدة. لذلك عمدت ماري إلى محادثة أخيها فريتْس عن كلّ تلك الحكاية. لكنّ هذا الأخير كان قد فقد الثّقة بأخته منذ أن تجرّأت وأخبرته بأن خيّالته كانوا فرّوا من المعركة؛ لذلك، وعندما سمع أباه يصف أخته بالكذّابة، أعاد إلى ضبّاطه رتَبهم التي كان قد نزعها عنهم، وسمح للأبواق من جديد بأن تعزف مسيرة خيّالة الحراسة. لكنّ ردّ الاعتبار هذا، الذي قام به فريتْس، لم يمنع ماري من أن تظلّ مؤمنة بأنّ خيّالة فريتْس جبناء، فرّوا من المعركة.

لم تعد ماري إذن تجرؤ على الحديث عن مغامراتها، غير أنّ ذكريات مملكة الدّمى كانت تحاصرها من كلّ جانب،



وباستمرار. وعندما كانت تعود بذهنها إلى تلك الذّكريات، كانت ترى كلَّ شيء من جديد، كما لو كانت ما تزال وسط غابة أشجار الميلاد أو على ميّاه نهر ماء الورد أو في مدينة المربّى، إلى درجة أنّها، عوض أن تأخذ في اللّعب بلُعَبها كما كانت تفعل من قبل، شرعت تجلس صامتة وجامدة، مُتفكّرة، فأصبح الجميع ينادونها بالحالمة الصّغيرة.

لكن، وذات يوم، كان المستشار الطّبيّ شارعاً في إصلاح شيء ما عاطلٍ في السّاعة، بواسطة أداة مدبّبة طويلة، واضعاً شعره المستعارَ على الأرضيّة الخشبيّة، لسانه بارز من جانبٍ من فمه، وقد شمّر كمّي سترته «الرّودنْغوت» الصّفراء. وكانت ماري جالسة قريباً من الخزانة الزّجاجيّة، وهي تنظر، كما جرت عادتها بذلك، إلى «كسّارة البندق»، غارقة في أحلام يقظتها. لكنّ ماري نسيتْ، فجأةً، لا فقط العرّاب

دروسلماير، وإنّما أيضاً أمّها التي كانت حاضرة، وصاحت بطريقة لا إرادية:

- آه أيّها السّيد دروسلماير! لو لم تكن إلاّ رجُلاً من خشب، كما يؤكّد أبي، ولو كنت توجد بالفعل، لما كنتُ عاملتك كما عاملتْك الأميرة بيرليبات، ولما كنت تخلّيت عنك، كما فعلتْ هي، عندما لم تعد شاباًّ جميلاً؛ فأنا أحبّك حبّاً حقيقياً. آه!...

لكن ما إن أصدرت ماري تلك التّنهيدة، حتّى ارتفعت في الغرفة جلَبة، فانقلبت من على كرسيّها، وسقطت على الأرض مغشيّاً عليها.

وعندما عادت ماري إلى وعيها، كانت بين ذراعي أمّها



وهي تقول لها:

- كيف يكون ممكناً لفتاة كبيرة مثلك أن تسقط بتلك الطّريقة الغبيّة من على كرسيّها، وأن يحصل لها ذلك في اللّحظة نفسها التّي يعود فيها ابن أخي السّيد دروسلماير إلى مدينة نومبيرغ بعد أن أنهى رحلته؟... هيّا، امسحي عينيك وكوني عاقلة.

بالفعل، مسحت ماري عينيها. وعندما أدارتهما نحو الباب الذي انفتح في تلك اللّحظة، شاهدت المستشار الطّبيّ، شعره المستعار على رأسه، وقبّعته تحت إبطه، مرتدياً بدلته «الرّودنْغوت» الصّفراء، وهو يبتسم برضىً، ممسكاً بيده شابّاً قصيراً، لكن ذا بنية جيّدة وفائق الجمال.

كان الشّاب يرتدي بدلة «رودنْغوت» رائعة من ثوب مخمليّ أحمر، مطرّزة بالذّهب، وجوربَيْن من حرير أبيض وحذاء ملمّعاً. وكان على صدريّته باقة ورد جميلة، شعره مجعّد بشكل رائع ومعطّر، بينما كانت معلّقة خلف ظهره ضفيرة مفتولة بحذق. أمّا سيفه الذي كان معلّقاً إلى وسطه فكان يبدو مصنوعاً من أحجار كريمة، وكانت قبّعته التي يحملها تحت إبطه من ثوب حريريّ شديد الرّقة.

كان من الممكن أن يعرف المرء، على الفور، أنّ هذا الشّاب

ذو أخلاق عالية؛ فهو بمجرّد دخوله، وضع عند قدمَي ماري كمّية من اللّعَب الجميلة، فضلاً، بالخصوص، عن حلويّات لوز لذيذة ورائعة، لم يسبق لها أن أكلت مثلها في حياتها، اللّهم إلاّ أن تكون هي نفسَها التي ذاقت منها في مملكة الدّمى. أمّا بالنّسبة لفريتْس، فقد بدا وكأن ابن أخي المستشار الطّبيّ يعرف أذواقه العسكريّة، إذْ أتاه بسيف من أفضل صنوف الدّمقس. ولم يكن ذلك كلّ شيء؛ فعندما جلسوا إلى مائدة الطّعام، وعندما وصلوا إلى لحظة أكل الفاكهة، شرع ذلك الكائن المحبوب يكسّر البندق لكلّ المجموعة. لم تكن أقساها تقاوم ولو لثانيّة واحدة. كان يضع البندقة بيده اليمنى بين أسنانه، ويسحب الضّفيرة باليد اليسرى، فيُسمع صوت كراك! وتتفتّت قشرة البندقة إلى قطع صغيرة.

كان وجه ماري قد أصبح شديد الاحمرار عندما رأت الرّجل القصير يدخل، لكنّها أصبحت أشدّ حمرةً عندما دعاها، بعد الانتهاء من وجبة العشاء، إلى الذّهاب معه إلى الغرفة التي توجد فيها الخزانة الزّجاجيّة.

- هيّا، اذهبا يا ابنيّ والعبا معاً، قال العرّاب، فأنا ما عدت في حاجة إلى قاعة الاستقبال، ما دامت كلّ ساعات صديقي القاضي قد أضحت في حالٍ جيّدة.



دخل الشّابان إلى الغرفة، وبمجرّد أن وجد الشّاب دروسلمايِر نفسه وحيداً مع ماري، جثا على ركبتيه وهو يقول لها:

– أوه! أيّتها الآنسة زيلبرهاوس الرّائعة! ها أنت ترين هنا عند قدميك دروسلمايِر السّعيد، الذي سبق لك أن أنقذتِ حياته في هذا المكان نفسه. وقد سبق لك أن قلتِ أيضاً، بطيبة متناهية، إنّك ما كنت لتطرديني، كما فعلت الأميرة بيرليبات البشعة، إن كنتُ قد أصبحت مشوَّهاً وأنا أسدي لك خدمة. عندما قلتِ تلك الكلمات كففْتُ، في تلك اللّحظة نفسها، عن أن أكون «كسّارة بندق» غبيّاً؛ ذلك أنّ السّحر الذي كانت السيّدة فأرون قد ألقت به عليّ، كان من المفروض أن يَبطُل تأثيره بمجرّد أن تحبّني، رغم دمامتي، فتاةٌ شابّة وجميلة. وها أنا ذا أسترجع شكلي الأوّل الذي ليس قبيحاً إلى تلك الدّرجة،

كما ترين. هكذا إذن، أيّتها الآنسة العزيزة، فإن كنت ما تزالين تعربين عن نفس المشاعر تجاهي، تفضّلي بقبولي زوجاً لك، وبمقاسمتي عرشي وتاجي واحكمي معي مملكة الدّمى، فأنا قد أصبحت في هذه اللّحظة مَلكها.

عندئذ أنهضت ماري الشّاب دروسلماير برفق وهي تقول:

- أنت يا سيّدي ملك طيّب ومحبوب، وبما أنّك تملك مملكة فاتنة، مزيّنة بالقصور الرّائعة ومأهولة بالرّعايا المبتهجين، فإنّني أقبل بك زوجاً لي، بعد موافقة أبويّ على خطبتي لك.

في تلك اللّحظة، وبما أنّ الباب كان قد انفتح بدون ضجيج، فلم ينتبه الشّابان إليه، لفرط انشغالهما بمشاعرهما، فإنّ القاضي وزوجته والعرّاب دروسلماير، تقدّموا داخل الغرفة وهم يصيحون بأعلى أصواتهم: برافو! برافو! أصبحت ماري حمراء مثل حبّة كرز، لكنه لم يبدُ على الشّاب أيّ اضطراب، فتقدّم نحوَ القاضي وزوجته، ونطق في حقّهما، مع حركة احترام، بإطراء لطيف، طالباً كفّ ماري، فوافقا على الفور.

خلال اليوم نفسه خُطبت ماري للشّاب دروسلماير، لكن شريطة ألاّ يُقام حفل الزّفاف إلاّ بعد سنة.

عندما انقضى العام عاد الخطيب ليبحث عن زوجته وهو

يستقل عربة من صَدَف مرصّع بالذّهب وبالفضّة، تجرّها جيّاد لم تكن أكبر في حجمها من الخراف، وكانت أثمانها مرتفعة للغاية، لأنّها لم يكن لها مثيل في العالم بأسره. عندئذ أخذ زوجته إلى قصر حلويات اللّوز حيث أشرف على زواجهما كاهن القصر، وحيث كان يرقص، بمناسبة اقترانهما، اثنان وعشرون ألفاً من الوجوه الصّغيرة المغشّاة كلّية بالجواهر وبالأحجار الكريمة اللاّمعة. ولا تزال ماري إلى الآن ملكة لتلك المملكة الجميلة التّي نرى فيها، حيثما ولّينا وجوهنا، غاباتِ أعيادِ ميلادٍ لمّاعة ووديانَ عصير البرتقال واللّوز وماء الورد، فضلاً عن قصور ناصعة البياض من سكّر أشدّ رقّة من الثّلج وأكثر شفافيّة من الجليد. كما أنّه يوجد بالمملكة، أيضاً، أمور أخرى رائعة ومعجزة، علّنا تكون لنا أعينٌ جيّدة كي نراها.

انتهت حكاية «كسّارة البندق»



الحواشي

(1) كرسيّ فولتير: هو كرسيّ مريح، واسع ومنجَّد وله مسندان عريضان. سُمّيَ هكذا باسم الفيلسوف الفرنسيّ الشهير فولتير Voltaire (1694–1778) لأنّ أوّل كرسيّ بهذا الشكل شوهدَ في مسرحيّة له عُرضَت في سنة 1820.

(2) فرانسوا بوشيه François Boucher (1703–1770): رسّام فرنسيّ شهير، من أهمّ لوحاته «ولادة فينوس».

(3) غوليفر على شاطئ ليليبوت: إشارة إلى بطل رواية «رحلات غوليفر» للروائيّ الإيرلنديّ من أصل إنجليزيّ جوناثان سويفت Jonathan Swift (1667–1745)، يصف فيها أربع رحلات يقوم بها غوليفر ويأسره في إحداها سكّان جزيرة ليليبوت، وكلّهم من الأقزام، ويوثقونه بالحبال إذْ حسبوه في البداية مسخاً.

(4) يضع المؤلّف على لسان راوية عمله دفاعاً عن الكاتب الفرنسيّ شارل بيرّو Charles Perrault، رائد حكايا الجنيّات في القرن السّابع عشر، أمام كتّاب المَلاحم والشّعراء الذين يُذكَر بعضٌ منهم في هذه الفقرة. وهو ينشد بذلك التمهيد للحكاية التي يقوم عليها عمله الذي هو بين أيدينا، كما يعرب عن انحيازه لهذا النمط السرديّ والخياليّ.

(5) نومبيرغ: استخدم ألكساندر دوما الاسم الفرنسيّ لهذه المدينة الألمانيّة، أي Nuremberg، ولكنّنا آثرنا أن نضع الاسم في كتابته الألمانيّة: Nürnberg.

(6) العرّاب: شخص يتعهّد الطّفلَ برعاية معنويّة إلى جانب الأبوين، ويكون الطّفل بمثابة ابنه الروحيّ.

(7) «الرّودنْغوت»: سترة واسعة شديدة القرب من شكل المعطف، كانت رائجة في أوروبا في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر.

(8) نضع اسم «كسّارة البندق» بين مزدوجين كلّما تعلّق الأمر بالشخصيّة الحاملة له، أي الشابّ الممسوخ على هيئة كسّارة بندق. وبالرّغم من كون الاسم مؤنّثاً، كان لازماً، للسبّب ذاته، أن نطبّق عليه قواعد التّذكير.

(9) التّيرُولِيّون: نسبة إلى الـ «تيرول»، منطقة واقعة في بلاد النّمسا.

(10) السّيدة فأرون: كان المؤلّف قد حوّل المفردة الفرنسيّة souris ، التي تعني «فأرة»، إلى souriçonne، ليصنع منها اسماً له رنين اسمِ شخصيّ أو اسمِ علَم. ومجاراةً له حوّلنا المفردة «فأر» إلى «فأرون».

(11) القهرمانة: خازنة القصر وحافظته، تكون مسؤولة عن تموينه بما يلزم للحياة اليوميّة فيه من أطعمة وتجهيزات. ويقوم بهذه الوظيفة أغلب الأحيان قهرمان.

(12) بارتولو وبازيل: اثنان من شخوص مسرحيّة «حلاّق إشبيلية» للمؤلّف الفرنسيّ بومارشيه Beaumarchais، التي مُثّلتْ لأوّل مرّة في 1775.

(13) الحلوانيّ: السّكاكريّ أو صانع السّكاكر.

(14) بنفنيتو تشلّيني *Benvenuto Cellini*: نحّات وصائغ حليّ إيطاليّ من عصر النهضة ولد في مدينة فلورنسة في 1500 وتوفّي في المدينة نفسها في 1571.

كسّارة البندق

لم تعد ماري المسـكينة إذن تجرؤ على الحديث عن كلّ تلك الأشـياء الجميلة التي كانت تملأ خيالها. لكنّ قرّائي الشّباب وبالخصوص قارئاتي الشابّات. سـيفهمون أنّنا عندما نكون قد قمنا مرّة واحدة بتلـك الرّحلـة فإنّنـا يصعـب علينا أن ننسـى ذكراهـا؛ خصوصاً عندما تكون تلـك الرّحلة إلى بلد جـذّاب مثل مملكة الدّمـى، وعندما نكون قد رأينا مدينة شهيّة مثل مدينة المربّى. وإن لم نكن قـد أمضينا فيها سـوى سـاعة واحـدة. لذلك عمدت مـاري إلى إخبار أخيهـا فريتْس بكلّ تلك الحكاية.



